ديوان
الخطب المنبرية العصرية

تأليف
محمد مصطفى أبي العلا
المدير المساعد للتعليم الابتدائي والخاص بالأزهر الشريف

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

الناشر
مكتبة القاهرة
لصاحبها - علي يوسف سليمان
شارع الصنادقية : ميدان الأزهر بمصر
ص.ب ٩٤٦ تليفون ٩٠٥٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية للديوان

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا نحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير خلق الله ، وصفوة الهداة ، الذين بلغوا وحى الله ، وأضاءوا السبيل إلى كسب رضاه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، الذين نشروا هديه ، وعمروا به الأرجاء ، فى كياسة ونبل وحكمة ورحمة سجلت فضلهم فى ثناء .

أما بعد فقد نفذت الطبعة الأولى لديوان الخطب المنبرية العصرية ، فرغب إلى ناشره الهمام ، السيد الحريص على نشر العلم والهدى ، الحاج على يوسف سليمان ، أدام الله توفيقه ، فى إعادة طبعه ، فأعدت النظر فيه ، فوجدتنى مؤيداً العماد الأصفهانى فى قوله : (إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا

لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) .

ووجدت إن سايرت الرغبة — كان هذا المؤلف ، جديداً فى جوّته وتفصيله والمطلوب إعادة ، طبعه فرأيت الوقوف به ، عند هذا المظهر الذى تراه أيها المطلع .

وإن الديوان — فى مظهره هذا — بطبعته الثانية المزيدة المنقحة ، المشتملة على بعض خطب هامة جديدة ليجتذب قارئه أولا — أن يقرأ ثانياً . ولا يسعنى فى هذا التقديم بعد حمد الله العزيز العليم — إلا أن أشكر لمن هدوا إلى هذا الديوان للنفع به .

وإنى لدائم الحمد لله ، الذى وفق لإظهاره ، وتقلبه فى الجهات والأقطار ، وأسأله تبارك وتعالى أن يديم النفع به ، ولا يحرمنى أجره (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ؟

محمد مصطفى أبو العلا

الشهير بحامد

القاهرة فى أول المحرم سنة ١٣٨٧ هـ

١٠ من إبريل سنة ١٩٦٧ م

فاتحة الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان ، وأشهد أن لا إله إلا الله (الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير داع إلى الحق ، وأجل من خطب وأرشد الخلق إلى العزة والسعادة والأمان ، اللهم صل وسلم على ذلك الرسول الكريم ، الذى أنزلت عليه فى الذكر الحكيم (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) ، وعلى آله وصحبه الهداة ، أهل البيان والتقوى والمكارم ، الدعاة إلى الله ، جنود الإسلام ، الذين نشروا النور فى الحياة (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) .

(أما بعد)(١) فمقام الخطابة كريم ، ومنزلتها سامية ، ومن

---

(١) روى البخارى فى صحيحه عن المسور بن مخرمة أنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول : أما بعد . وروى اثنان وثلاثون صحابيا نطقه صلى الله عليه وسلم بلفظ أما بعد فى خطبه ، فلا ينبغى لخطيب أن يغفله فى خطبته .

تدبر آثارها آمن بذلك بلا ريب ، وإن صلاح الأمة وارتقاءها في ميادين الحياة والعمران مدين للخطابة الممتازة ، وأثر لتوجيهها المفيد ، وتأثيرها الجيد ، وكما أن دور الخطابة في حال السلم مهم جداً للإنشاء والتعمير — لايقل دورها في حال الحرب أهمية عن سائر أسلحة القتال ، وهل تعمل أسلحة القتال إلا في أيدي الأبطال ؟ والخطابة مما يبعث البطولة في النفوس ، وقد قال تعالى : (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) ولقد خطب رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ في حالي الحرب والسلم ، فحاز المستجيبون له الخير ، وكان لهم الغنم ، والوقاية من الغرم ، واقتدى به أصحابه البررة ، الكرام الخيرة ، فأحيوا بخطبهم النفوس ، ونشروا الفضيلة ، وأقبروا الرذيلة ، وترسم خطاهم سلفنا الصالح من الدعاة الهداة ، فنفذت خطبهم إلى سويداء القلوب ، وأصابت مواقع الوجدان وأقامت حضارة تكفل العزة والسعادة لبني الإنسان ، إذ صدرت عن شعور حي ، ووجدان صادق ، وإحساس فياض بحب الخير في إخلاص للناس .

ومن نسج على منوال أولئك السادة الأئمة ، وكل خير في اتباع من سلف أخلص في نصحه ، وسلم من عيب الإغراب ، والتجافي عن جادة السهولة ، ووفق بتلخيص المعاني ، ولم يعجز بالاستعانة بالغريب ، ولم ينقص بالتشادق في غير أهل البادية ، ولم يسهب بالخروج عما بني الكلام عليه ، ولم يتكلف في خطابته ، ولم يتعسف في وعظه .

ومن المسلم أن رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة وحليها

الإعراب ، وبهاؤها تخير الألفاظ وأخذها برقاب المعانى .

وقد بين بشر بن المعتمر ماينبغى اتباعه فى إنشاء الخطب ، فقال : أن يكون اللفظ رشيقاً عذباً . أو فخماً سهلا ، وأن يكون المعنى ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً .

وقد رأيت أن تكون خطب (ديوان الخطب المنبرية العصرية) على هذا المنهج القويم ، فتشرق — بلاطول ممل ، ولا قصر مخل — رشيقة الاسلوب ، جزلة العرض تحرك العواطف ، وتثير الشعور ، وتمضى العزائم ، مساهمة فى النهضة الإسلامية الحاضرة ، موجهة إلى الحق والنور ، والنفع فى الحوادث الجارية ، وأحوال عصرنا .

وأرجو ممن يطلع على هذا الديوان أن ينظر إليه نظره إلى كتاب إرشاد عام ، لا إلى ديوان خطب منبرية(١) ، فإن إرشاده لا يقف عند واحد من الأمة دون سواه ، فكما به يخلب الخطيب ويقود الواعظ من استمع لعظاته إلى الفلاح — به يسترشد من شاء فى خاصة نفسه ، ويهتدى إلى صراط مستقيم ، إذا أخذ بنصحه .

والله تعالى هو المسئول ، أن ينفع به ويجعل حظه القبول ؟

محمد مصطفى أبو العلا

الشهير بحامد

القاهرة فى يوم الجمعة ٢٧/٢/١٣٧٥ هـ
١٤/١٠/١٩٥٥ م

---

(١) نسبة إلى المنبر ، لأن الخطيب يرقى المنبر لإلقائها ، وللخطيب أن يرقى المنبر فى غير يوم الجمعة ليخطب الناس ، فقد روى أبو داود عن فاطمة بنت قيس : (أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم صعد المنبر ، وكان لا يصعد عليه إلا يوم جمعة قبل يومئذ) .

١ — فضل العقل والعناية به

الحمد لله الذى رفع بالعقل قدر الإنسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله أنار قلوب العقلاء بالإيمان ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعقل الخلق وأشدهم خشية لله ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وعلى من بعقله الراجح ، وإيمانه الكامل خضع لأمر ربه .

أما بعد فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : (فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا) .

خطاب كريم ، لتحقيق التقوى فى النفوس ، لتحيا شريفة خيرة لا خسيسة شريرة ، وجهه سبحانه إلى أصحاب العقول ، الذين آمنوا ، لأنهم هم الذين يفهمون الخطاب ، وهم الذين يتعظون ، ويرغبون فى الثواب ، ويخافون العقاب . ويعلمون أنه تبارك وتعالى — مالك الملك ، سريع الحساب ، فيمتثلون أمره ، ويجتنبون نهيه ، ليفوزوا بالنعيم ، ويسلموا من العذاب (وما يذكر إلا أولو(١) الألباب)

أيها الإنسان :

بالعقل فضلك الله على سائر الحيوان ، وجعلك أهــلا لخطابه

---

(١) أصحاب العقول

والتدين بدينه ، وأداء حقه والفوز بالمثوبة ؛ والتنعم بلـذة الجزاء وحلاوته . فى دار رضوانه تعالى وكرامته .

بالعقل يدبر المرء أمور دنياه ، وينكشف له من أسرار الكون ما يسعد الحياة ، فلولاه ما كانت علوم ولا مخترعات ، ولا قطارات ولا سيارات ولا سفن ولا طـائرات ، وما إلى ذلك من مـكتشفات ومصنوعات ، بها اتسع العمران ، وانتفع الإنسان ؛ وتذوق نعمة المنان ، فهو أجل نعمة تفضل بها الكريم ، وصدق من قال :

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا فان فقد الحياة أجمل به

أيها المستمع المنصت :

ما قيمة الدنيا بأسرها ، إذا فقد العقـل ؛ وهو الذى به تصريف شئونها ؛ بل لا تـكون الجنة جنة ، إذا سلب الإنسان فيها عقله ، فحافظ عليه ، ولا تضيعه بشرب مسكر ، ولا تفسده بتناول حشيش أو أى مخدر ، واعمل على قوته وصفائه ، وزيادة نوره وبهائه ، بمدارسة العلم والقرآن ، ومجالسة العقلاء وأهل العرفان ، والمواظبة عـلى الطاعة واجتناب العصيان ، فقـد قال(١) رسول الله صـلى الله عليه

(١) رواه الترمذى الحكيم فى النوادر ، وداود بن المحبر فى كتاب العقل .

وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه : (ازدد عقلا تزدد من ربك قرباً ، فقال : بأبى(١) أنت وأمى ، وكيف لى بذلك ، فقال : اجتنب محارم الله تعالى ، وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة ، وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز) فالعقل هو المهيمن على مايقول الإنسان ويفعل ، يدعوه إلى صالح العمل ، ويعقله ويمنعه عما لا يليق ولا يجمل ، وكلما كان عقل الإنسان أقوى — كان أقدر على حمل النفس على الاستقامة ، ودفعها عن الشهوات والمنكرات ، ومايغضب قيوم الأرض والسموات ، فأعقل الناس أتقاهم لرب الناس ، وهو أعظمهم حظا عنده فى الرضا والدرجات .

ياطالبا إسعاد نفسه وعلو رتبتها فى الدنيا والآخرة خالف هواك ، وقو عقلك بتقوى مولاك ، والحرص على ألا يفقدك حيث أمرك ، ولايراك حيث نهاك ، يحيك حياة طيبة .

(والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا)

---

(١) أى أفديك بهما .

روى الطبراني(١) في الكبير والصغير عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله(٢) » .

وروى الحكيم الترمذى عن ابن عباس : رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أعلمك خصلات ينفعك الله تعالى بهن : عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله ، والعمل قيمه ، والرفق أبوه ، واللين أخوه . والصبر أمير جنوده) .

---

(١) نسبة إلى طبرية ، وهى قرية على بحيرة طبرية بالأردن ، وهو الإمام الحافظ الحجة مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامى اللخمى ولد سنة ٢٦٠ ، وسمع سنة ٢٧٣ ، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون ، ومات فى ذى القعدة سنة ٣٦٠ عن مائة عام وعشرة أشهر ، وله ثلاثة كتب مشهورة ، وهى المعجم الكبير ، والمعجم الأوسط والمعجم الصغير .

(٢) لفظه فى الكبير عمله بدل عقله ، وآثرنا هنا لفظه فى الصغير للمناسبة

٢ ـ دلالة المخلوقات على خالقها العلى الأعلى

الحمد لله ، توحد بوجوب الوجود ودوام البقاء ، وتفرد بامتناع العدم واستحالة الفناء ، وأشهد أن لا إله إلا الله : دل على وجوده خلق الأرض والسماء ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام الأنبياء ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين زادهم التفكر فى الخلق إيماناً بالله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) .

أيها العاقل :

إن الصنعة تدل على الصانع ، والأثر يدل على المؤثر ، فللدلالة على الله تعالى ـ انظر إلى خلق السموات والأرض ، وما فيهما من العجائب والغرائب .

انظر إلى الكواكب ، زين الله بها السماء الدنيا ، وأضاء بشمسها ، وأنار بقمرها ، وكون السنة من دورة الشمس ، وأنشأ عن سيرها الليل والنهار والفصول الأربعة ، الربيع والصيف

والخريف والشتاء ، لمصلحة الخلق وخيرهم ، وكون الشهر من دورة القمر ، ليعلم الناس عدد السنين، وحساب الأشهر والأيام، في معاملاتهم وتصرفاتهم (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره(١) منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)

وانظر إلى ما اشتملت عليه الأرض من بحار وجبال ومعادن ، وما أنبتت من نبات مختلف الأشكال والأزهار والأوراق والثمار ، والبذور والألوان ، والروائح والطعوم (أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج(٢) كريم)(٣) .

وانظر إلى ما فى الأرض من حيوان ، متعدد الأنواع والمنافع ، فى إحكام وإحسان وإتقان .

وانظر إلى نفسك : كيف جعلك سبحانه من النطفة إنساناً سميعاً بصيراً ، متكلما مدركاً مدبراً ، وتأمل أعضاءك الباطنة والظاهرة ، وكيف تؤدى وظائفها مدهشة باهرة (وفى الأرض آيات للموقنين. وفى أنفسكم أفلا تبصرون) .

---

(١) أى سير الشمس والقمر ، أو الضمير للقمر ، كما فى قوله تعالى فى سورة يس (والقمر قدرناه منازل) ، وتخصيصه بالذكر — لسرعة سيره ، ومعاينة منازله ، وإناطة أحكام الشرع به من صوم وحج ونحوهما ، قال تعالى : (لتعلموا عدد السنين والحساب) . أى الحساب بالأوقات : من الأشهر والأيام ، وبذلك تنتظم مصالح العباد فى العبادات والمعاملات وسائر الشئون المعاشية .

(٢) من كل صنف . (٣) نفيس .

وتأمل اختلاف الليل والنهار ، بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب ، فى تعاقب وانتظام ، على توالى الأعوام ، (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة(١) لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) .

وانظر إلى السفن التى تجرى على الماء ، لينتفع بها الناس فى أمور معاشهم (ومن آياته(٢) الجوار(٣) فى البحر كالأعلام)(٤) .

وانظر إلى الماء ، ينزله تعالى من السحاب(٥) فتنبت به الأرض بعد يبسها ، وتنتشر فيها الدواب بما تأكله من نباتها (وترى الأرض هامدة(٦) فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت(٧) وربت(٨) وأنبتت من كل زوج بهيج(٩)) .

وانظر إلى تصريف الرياح ، وتقلبها شمالا وجنوباً ، وشرقاً وغرباً حارة وباردة ، وانظر إلى السحاب(١٠) المسخر بين السماء

---

(١) اختلافا ، فهو سبحانه جعل الليل والنهار صاحبي اختلاف . أى مختلفين بالتعاقب والزيادة والنقصان ؛ أو يخلف كل منهما الآخر ، وهما يتعاقبان دائما بحسب طلوع الشمس وغروبها ويتفاوتان بحسب الأمكنة طولا وقصرا .

(٢) دلائل وحوده وقدرته .

(٣) السفن الجارية (٤) كالجبال .

(٥) فالسماء فى قوله تعالى : (وما أنزل الله من السماء من ماء) هى السحاب وكل ماعلاك فأظلك سماء ، لغة .

(٦) ميتة يابسة (٧) تحركت بالنبات

(٨) انتفخت (٩) حسن رائق

(١٠) مأخوذ من السحب لأن بعضه يسحب بعضا ويجره

والأرض ، بلا عمد ترتكز عليها ، ولا علاقة تمنعه من السقوط ، تسير به الرياح حيث يشاء الله تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً(١) فترى الودق(٢) يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) .

ألا إن المخلوقات جميعها صنعته تعالى ، وآيات حكمته وجلاله ، وآثاره الدالة على كماله ، وأنه الواجب الوجود القادر الدائم الواحد المجيد ، المستحق للعبادة والتقديس والتمجيد (إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) .

فأكثر - ياعبد الله - من النظر إلى المخلوقات ، والتفكر فيها - تزدد إيماناً بخالقها ، ومراقبة له تعالى وتعظيماً ، وبذلك تجزى فى الدارين خيراً وتكريماً (ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس : رضى الله عنهما أن قوماً تفكروا فى الله عز وجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) قطعا ، فهو سبحانه وتعالى يبسط السحاب متصلا تارة ، ويجعله كسفا وقطعاً تارة أخرى .

(٢) المطر .

تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فإنكم لن(١) تقدروا قدره ».

وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن الحكم بن عمير : رضى الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال « عودوا قلوبكم الترقب(٢) وأكثروا التفكر والاعتبار) .

---

(١) لن تحيطوا بعظمته فتوفوه حقه من التعظيم . وروى أبو الشيخ أن ابن عباس - قال : [تفكر ساعة خير من قيام ليلة] .

(٢) أى دوام ملاحظة أنه تعالى يسمع ويرى ويعلم ما عليه العبد ، فمن صارت مراقبة ربه عادة له قضى على الغفلة ، وهى سبب كل بلية ، ولازم الذكر ، وهو أساس كل خير .

٣ — ثمرة المعرفة لله سبحانه وتعالى

الحمد لله من عرفه نال الدرجات العلا ، وأشهد أن لا إله إلا الله لاتخفى عليه خافية (إن الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل العارفين بالله ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الذين أخلصوا دينهم لله ففازوا فوزاً عظيماً .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

أيها المسلمون :

العلماء هم العارفون بربهم ، الذين علموا قدره سبحانه وبطشه وسلطانه ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويفعل ما يريد من غير مبالاة ، فامتلأت قلوبهم بخشيته ، وتعظيم قدرته وقوته ، فعملوا الصالحات ، وبعدوا عن السيئات ، ففازوا بالرضا والقبول (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) .

فالعارف بالله تعالى لا يقدم على تحريك لسانه بقول يجرح ، ولا بتشنيع يفضح ، ولا دس ، ولا بغيبة ولا نميمة ولا لعن وسباب وشتم ، ولا بشهادة زور ، ولا سخر من أحد ،

ولا خداع ولا إضلال ، ولا ترويج لباطل ، ولا دعوة إلى منكر ، أو تهاون فى واجب ، أو ارتكاب لمحرم ، وكيف يقدم على ذلك ، وهو مؤمن أنه تعالى يعلم قوله ، مهما أسره (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) .

والعارف بالله لا يجترىء على استعمال أعضائه فى الحرام ، لأنه يؤمن أنه تعالى يراه ، ويعلم عمله مهما أخفاه (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) .

وكيف يجرؤ العارف بالله على ارتكاب المعاصى ، وهى حمى الله ، ومن وقع فى حماه فالنار مأواه .

إن العارف بالله - نقى تقى ، لا يعزم على فعل محظور ، ولا يفكر فى إساءة ، ولا يسعى فى أذى ، ولا ينطوى على رذيلة ، فلا يكون متكبراً ، ولا حقوداً ولا منافقاً ، ولا يخطر على باله حسد أحد ، لأنه راض بما قسم الله ، غير ساخط لما قدره وقضاه ، وهو لذلك لا يجزع عند المصيبة ، ولا يسوء أدبه مع العليم الحكيم عند الصدمة ، فلنحو موت عزيز ، أو مرض شديد طويل ، أو فقد مال - يستعين بالصبر والصلاة ، ويقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

والعارف بالله لا ييأس من زوال شدة مهما استحكمت ولا من

نيل فائدة مهما بعدت وعظمت ، لأنه يرجو الله ، وهو سبحانه إذا أراد شيئاً — كان (إن الله على كل شيء قدير) .

والعارف بالله يحسن الظن به تعالى ، ويوقن أنه تعالى طيب لايقبل إلا طيباً ، وأنه لايخلف وعده ، فيطيعه سبحانه بالليل والنهار سراً وعلانية ، ويسعى في مرضاته ، ويحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه .

العارف بالله قلبه عامر بالإيمان ، وعمله يبتغى به وجه الديان ، فهو ملك كريم ، في صورة إنسان رحيم حليم .

أيها المسلم :

كن عارفاً بالله ، وبرهن على معرفتك بخشيتك له ، محترساً أن يراك سبحانه حيث نهاك وحذرك ، حريصاً على أن يراك حيث أمرك ورضى لك (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

روى البخارى فى تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الإيمان بالتمنى(١) ولكن ماوقر(٢) فى القلب ، وصدقه العمل وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

---

(١) أى التشهى (٢) أى ثبت .

وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى(١) ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل) .

وروى ابن ماجه . عن على بن أبى طالب رضى الله عنه :

الإيمان عقد بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان(٢) .

---

(١) أى التزين بالقول أو الصفة .

(٢) أى الجوارح والأعضاء . وفى رواية أخرى لابن ماجه ، ورواها الطبرانى فى الكبير — بدل عقد معرفة .

٤ — حاجة الناس إلى الرسل والايمان بهم

الحمد لله الحكيم الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله : لم يجعل لمن ضل عذراً ، إذ أرسل لخلقه هداة ، (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه الذين آمنوا بالله ورسله ، ففازوا وسعدوا .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات(١) وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) أى بالعدل .

أيها الناس :

أراد الحكيم الخبير أن يتفاوت الناس فى مداركهم وعقولهم ، ويختلفوا فى طباعهم وميولهم ، وبذلك اختلف نظرهم إلى الأشياء نفعاً وضراً ، وخيراً وشراً ، وحباً وكرها ، فهذا بائع يرى نقص الكيل والميزان نفعاً ، وقد ظهر لسواه ضره ، وهو فى الواقع ظلم ، وهذا مشتر يرى أخذ ما يزيد على حقه خيراً ، وقد اتضح لغيره شره ، وهو فى الحقيقة ليس بعدل ، وقد يحب المرء ما يجدر به كرهه كالمخدرات مضيعة الصحة والمال .

وباختلاف العقول — اختلف الناس فى التقرب إليه تعالى ، فمنهم من تقرب إليه بعبادة بعض الكواكب ، ومنهم من تقرب إليه بعبادة

---

(١) الآيات الواضحات .

حيوان ، وتقرب إليه قوم بعبادة الأصنام والأوثان ، وتقرب إليه آخرون بعبادة النيران ، ولم يرض بعض الناس غير عبادة خالقهم ، ولكن لم يعرفوا على أى وجه يعبدون ، وبأى وسيلة يتقربون .

لذلك كان لابد من حدود ترسم ، لا يتعداها الناس ولا بد من قوانين عامة يكلفون العمل بها ، ليفوزوا بالخير والنفع ، ويقوموا بالعدل ، ويعبدوا الله عبادة صحيحة ، ويتقربوا إليه بما يليق بعظمته ، ولكن لايقدر على رسم الحدود ، ولا وضع هذه القوانين إلا بصير بمختلف أحوال الناس، خبير بمصالحهم وبما يليق بعظمته تعالى ، وذلك هو الله العليم الحكيم .

ولحاجة الناس إلى من يبلغهم هذه الحدود وتلك القوانين عن الله تعالى ، ويوضحها لهم — أرسل سبحانه وتعالى — أناساً رجحت عقولهم ، وسمت صفاتهم : اصطفاهم جل شأنه من عباده ، وأيدهم بأمور ليست من مألوف البشر ، ولا فى مقدورهم كقلب العصا حية تسعى ، وشفاء الأكمه — الذى ولد أعمى ، وشفاء الأبرص ، وإحياء الموتى ، وكانشقاق القمر وتسبيح الحصا .

عباد الله :

هذه الحدود وتلك القوانين عن الله تعالى — هى شرائعه سبحانه ، الهادية إلى الحق والصواب ، وأولئك المصطفون الذين بلغوها الناس ، وقد بشروا من لم يتعدها ، وعمل بها برضا الله وحسن ثوابه ، وأنذروا من تجاوزها ولم يتبعها بسخط الله وسوء عقابه — هم الرسل الكرام ، الذين أيدوا بالمعجزات العظام ، ووجب الإيمان بهم جميعاً ، وكان

خاتمهم رسولنا محمد سيد الأنام ، الذى جاء بالقرآن ، المعجزة التى كتب الله لها الدوام .

يا أتباع خير المرسلين سيدنا محمد الأمين :

استبشروا بإيمانكم بالرسل أجمعين ، فإن فيه أجراً عظيماً (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً(١) للناس ، فأتاه رجل ، فقال ما الإيمان ؟ فقال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث(٢) الآخر) .

وروى البيهقى ، عن عمر بن الخطاب : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — : قال : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

---

(١) ظاهراً .

(٢) هو إحياء الله تعالى الموتى ، وإخراجهم من قبورهم .

٥ – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

رسول إلى الناس جميعاً

الحمد لله القائل : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أرسل نبينا إلى الناس كافة ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، المنزل عليه (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه السادة الدعاة ، والأئمة الهداة .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) وقال جل شأنه : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

أيها المسلمون :

قبل البعثة المحمدية كان العالم فى ظلمات من الضلالة ، ومن الفتن والحروب فى دماء سائلة ، وقوى متخاذلة ، وكان الأقوياء يستبدون بأموال الضعفاء ، وثمرات أعمالهم ، فانتشر الفقر والذل ، واضطرب حبل الأمن ، وقيدت الحرية ، وخيمت على العقول سحائب الخمول ، وفسدت العقائد ، والتبس الصالح بالفاسد ، واختلط الدنس بالطهارة ، والصلاح بالدعارة ، واشتبه الشره بالقناعة ، والتمس رضا الله ، بما تنفر منه شرائعه ولا ترضاه ، وظهرت الفوضى والإباحية ، فزاد الخطب ، واشتد الكرب ، والعرب حينئذ قد أضلتهم الميول والأهواء ، وأسقطتهم الكبراء ، وملكتهم الجاهلية الجهلاء فكانوا يعبدون الأصنام ، ويعصون

الرحمن ، وينصرون الشيطان ، ويخذلون الإيمان ، ويغصبون الأموال ، ويسبون النساء ، ويقتلون الأولاد خشية الفقر والعار ، وكانت حروبهم متواصلة ، وعداوتهم مستحكمة ، وتفرقهم دائماً .

لذلك كان الناس جميعاً محتاجين إلى نور ساطع ، يكشف عن العقول ظلام الخرافات والأوهام ، لتتبين الخير من الشر والرشد من الغى ، وتفكر فى الوجود ، فتهتدى إلى معرفة الخالق المعبود وكان الناس جميعاً محتاجين إلى من ينتشلهم من هوة سقوطهم ويبرئهم من عللهم المبرحة بهم ، وينبه الغافلين ، ويزعج الظالمين ، ويرد الأقوياء عن السطو على الضعفاء ، فأرسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم يدعو جميع الأمم إلى الإسلام ، دين العلاج الكافى الشافى لكل أدواء المجتمعات ، دين الهدى الرشيد الوافى بكل ما يصلح الأفراد والجماعات ، دين الهداية إلى سبل الخير والسلام ، وسعادة الدنيا (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) .

عباد الله :

اتقوا الله واعلموا أن من لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم ليس بمؤمن عند الله تعالى ، ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

ومن آمن به صلى الله عليه وسلم ، واتبع النور الذى أنزل معه ـ فاز بالخير وجنة نعيم (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا

النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » .

وروى محمد بن سعد فى طبقاته : عن عبد عمرو بن جبلة الكلبى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أنا النبى الأمى الصادق الزكى . الويل(١) كل الويل لمن كذبنى ، وتولى عنى وقاتلنى والخير لمن آوانى ونصرنى وآمن بى وصدق قولى وجاهد معى) .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن أنس بن مالك . رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة) .

---

(١) أى التحسر والهلاك .

٦ — فضل القرآن الكريم والحث على العمل به والمحافظة عليه ، وأدب القارىء والسامع

الحمد لله . أنزل القرآن نوراً وهدى العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل القرآن دستور المسلمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى من به تبارك وتعالى على المؤمنين : يتلو عليهم آياته ، ويرشدهم(١) إلى الحق المبين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا بالقرآن سادة الناس أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) أى ذلك القرآن لاشك فى أنه كلام الله أنزله هداية لأهل تقواه .

---

(١) يرشد صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى أمور دنياهم وأخراهم بسنته، التى هى بيان وتفصيل لما أجمله القرآن الكريم ، فهى هدى إلى مكارم الأخلاق، وشريف الخصال ، وحميد الأمور ، وصالح الأعمال ، تأخذ بيد الفرد والجماعة إلى سبيل الخير ، وتبعد بهم عن طريق الشر ، فالقرآن الكريم هو الأصل الأول للدين ، وسنة النبى صلى الله عليه وسلم : من أقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته هى الأصل الثانى الذى يبين الأول : قال تعالى . (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال صلى الله عليه وسلم : ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكىء على أريكته — أى سريره — فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه — أى اعتبرناه حلالا — وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ماحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرمه الله] : أخرجه أبو داود والترمذى ، وزاد أبو داود فى أوله : [ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه] عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه وألا هل عسى أى وألا هل من المتوقع

وقال(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته ، حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

أيها المسلمون :

القرآن الكريم أفضل معجزة أيد الله بها رسوله محمداً ، أنزله تعالى هادياً ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ودواء فى آياته شفاء لما فى الصدور ، قانوناً يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويردع الظالم ، وينصف المظلوم ، (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) .

---

(١) روى الترمذى عن الحارث الأعور قال : مررت بالمسجد ، فإذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت على على ، فقلت يا أمير المؤمنين ، ألا ترى أن الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال : أما إنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت : ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : (كتاب الله) إلى آخر الحديث المذكور .

وقد حفظ(١) المؤمنون السابقون القرآن ، وتدبروا حكمه ومعانيه ، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، واعتبروا بعظاته البالغة ، واستمسكوا بآدابه الفاضلة ، عاملين بقوله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ، فكانوا أتقياء أقوياء ، سعداء أعزاء : أعزوا كتاب الله واعتزوا به فأعزهم الله ، وهدى بهم ومنحهم رضاه .

وإنكم عباد الله - تفوزون بما فازوا ، إذا عملتم كما عملوا ، فتدبرتم - تالين ومستمعين - آيات القرآن ، وزادكم حسن(٢) صوت القارىء إقبالا على التدبر والاتعاظ بمواعظ القرآن الحسان ، وتأدب القارىء فصان لسانه الذى يتلو به كلام الله عن اللغو وقبيح الكلام ، وعمل بقول سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام(٣) : «لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله» ، وبقوله

---

(١) فى فضل حفظة القرآن ، الجديرين لصلاحهم بالإكرام - قال صلى الله عليه وسلم (حامل القرآن حامل راية الإسلام ، من أكرمه فقد أكرم الله ، ومن أهانه فعليه لعنة الله) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى أمامة (ض) ، وقال صلى الله عليه وسلم (حملة القرآن أولياء الله تعالى فمن عاداهم فقد عادى الله تعالى ومن والاهم فقد والى الله تعالى) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عمر (ض) .

(٢) روى الامام أحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى عن عن فضالة بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته) والقينة هى الأمة المغنية والأذن بفتحتين : الاستماع ، وهو كناية عن الرضا وكثرة الثواب .

(٣) روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من قرأ القرآن فقد استدرج - أى أخذ قليلا قليلا - النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد - أى يغضب مع من غضب ، ولا يجهل مع من جهل ، وفى جوفه كلام الله) .

صلى الله عليه وسلم(١) . (من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له) ، وتأدب المستمع . فكف عن الكلام ، وجلس فى مجلس القرآن باحتشام ، وأقبل على استماع آياته ، خاشعاً ، منصتاً ، ممتثلا أمر الله العزيز العلام (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) .

أيها المسلمون :

إن الإعراض عن سماع كلام الله ، والتحدث والضحك ورفع الصوت والقرآن يتلى - من فعل الكفار ، وشيم الفجار ، وأولئك مأواهم النار ، فلا تكونوا مثلهم ، لتنجوا من عذاب الله ، واستحضرو عظمة الله وأنتم تتلون أو تستمعون آياته واخشعوا لصوت الحق (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم) وألفوا — ياقوم — الجمعيات للمحافظة على القرآن ، واقيموا المدارس لتحفيظه ، ووجهوا أولادكم لحفظه ، ونوروا قلوبكم بتلاوته ومدارسته واتباعه تحفظوا دينكم ، وتعلوا شأنكم ، ويضاعف الله أجركم (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

روى البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

---

(١) رواه الطبرانى .

وروى مسلم وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة(١) وغشيتهم(٢) الرحمة وحفتهم(٣) الملائكة وذكرهم(٤) الله فيمن عنده)

وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أطيعونى ما كنت بين(٥) أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه) .

روى(٦) ابن حبان فى صحيحه . والبيهقى فى شعب الإيمان ، عن جابر بن عبد الله : رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (القرآن شافع(٧) مشفع(٨) وماحل(٩) مصدق

---

(١) طمأنينة القلوب لما يفعل العليم الحكيم .
(٢) شملتهم وعمتهم .
(٣) التفوا حولهم إعجاباً بما يعملون .
(٤) أى ألقى إجلالهم وتعظيمهم عند من عنده أو أمر سبحانه وتعالى بعض من عنده بأن يصرح بينهم بذلك الإجلال والتعظيم . ومن عنده تعالى هم ملائكته المقربون ، والعندية عندية مكانة لامكان ، فإنه تعالى منزه عن المكان .
(٥) أى بينكم ، وفائدة إدخال لفظ أظهر فى الكلام : أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد إليهم ، وكأن المعنى أن ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنوف من جانبيه ، هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل فى الإقامة بين القوم وإن كان غير مكنوف بينهم ، (٦) ورواه الطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى الشعب : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .
(٧) الشفاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب . (٨) أى مقبول الشفاعة
(٩) أى مجادل مخاصم من ترك العمل به .

من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار) .

وروى أبو يعلى فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (القرآن غنى(١) لافقر بعده . ولا غنى دونه) .

وروى السجزى فى الإبانة . والقضاعى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (القرآن هو الدواء) .

---

(١) ففقر أهل القرآن وضيقهم — إنما هو لعدم عملهم به وإخلاص نياتهم.

٧ — إرضاء الخالق وإن غضب الخلق

الحمد لله : كل شيء في قبضته (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من أطاعه منحه خيراً ووقاه شراً ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، لم يبال — في سبيل دعوته إلى ربه — إيذاء قومه ، ومحاربتهم له ولصحبه ، فكافأه الله النصر والنجاح ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل مطيع لله ورسوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (فلا تخشوا الناس واخشون) .

عباد الله :

الملك كله لله ، ولا تصرف فيه لسواه ، فالسعيد من أراد الله إسعاده وإن سعى في ضره كل جبار عنيد ، والشقي من أراد تعالى إشقاءه ، وإن اجتمع على نفعه كل العبيد . فأحكامه تعالى هي النافذة ، وإرادته جل شأنه هي الماضية (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

آمن بذلك الحق سلفنا الصالح فسعوا في مرضاته تعالى ، ورجوا بره وخيراته سبحانه ، ولم يخشوا سواه ، فكان فوزهم سديداً ، وحكمهم عدلا ، وعملهم حميداً ، ومجتمعهم سعيداً ، فحيوا حياة طيبة

فى عزة وسيادة وسعادة (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) .

فلماذا يحيد بعض المسلمين عن طريق سلفهم الصالح ، ويتقربون إلى بعض العباد بفعل ما يحبون ، ويغضبون رب العالمين ، ويستوجبون شديد عذابه ، وحرمان ثوابه ، أيطلبون عندهم سلطاناً وجاهاً ، أم يطلبون وظيفة ومالا ؟ وهم يعلمون أنه لا ينال شيء إلا بإذن الله ، وأنه تعالى هو الذى بيده وحده المنع والعطاء والرفع والخفض ، والعز والذل وكل شيء فى الأرض وفى السماء : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) .

إن العاقل يرضى ربه بطاعته وترك معصيته ، ولا يهمه سخط الناس عليه أم رضوا عنه ؟ لأنهم لا يملكون ضره إلا بشيء قد كتبه الله له ، ومن أغضب الناس بإرضاء الله كان الله معه ، فكفاه شر سخطهم ، وجعلهم يحبونه ، ويرضون عنه ويعظمونه ، لأنهم عرفوا فيه الثبات على المبدإ الحق وأنه يخشى من هو وحده أحق بالخشية ، وقد روى الترمذى عن رجل(١) من أهل المدينة قال : كتب معاوية إلى عائشة رضى الله عنها أن اكتبى إلى كتاباً توصينى فيه ولا تكثرى على فكتبت عائشة إلى معاوية : « سلام عليك ، أما بعد فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من التمس

---

(١) لم يسم الرجل .

رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليك » .

فالمؤمن الحق — لايسخط الله بارضاء الخلق ، والمسلم الصادق لايجامل جلساءه بإغضاب ربه ، فإذا سمع النداء للصلاة ترك حديثهم وأداها ، وإذا وجدهم يغتابون وينهشون الاعراض ، ويتنابزون بالألقاب ، أو يلعبون القمار أو يشربون الحرام ، ويأتون فى مجالسهم المنكر - أنكر عليهم إثمهم ، أو فارق مجلسهم ، لعلهم يرجعون إلى رشدهم ، ويتوبون إلى ربهم وقد قال(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايحقرن أحدكم نفسه ، قالوا يارسول الله ، وكيف يحقر أحدنا نفسه ، قال : يرى أن لله عليه مقالا ثم لايقول فيه ، فيقول الناس ، فيقول فإياى كنت أحق أن تخشى ، وقال عليه الصلاة والسلام(٢) « ألا لايمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه » .

عباد الله :

أرضوا من بيده خير الدنيا والآخرة ، واخشوه وحده ، ولا تخشوا خلقه (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ، قدموا طاعة الله ورسوله على كل طاعة ، ولتكن أوامر الله ورسوله أول ماتسمعون ، ونواهى الله ورسوله فى مقدمة ماتتركون (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) .

---

(١) رواه ابن ماجه . (٢) رواه الترمذى .

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه » .

وروى الحاكم . عن جابر بن عبد الله : رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أرضى سلطاناً بما يسخط به ربه — خرج من دين الله) .

وروى البزار عن عائشة : رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من طلب محامد الناس بمعاصى الله عاد حامده له ذاماً) .

٧ ـ رأس الحكمة مخافة الله

الحمد لله : من خافه سلم ، وعمل صالحاً فغنم ، وأشهد أن لا إله إلا الله . جنته لمن خافه واتقاه ، وناره لمن عصاه وآثر دنياه على أخراه (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعلم الخلق بالله ، وأشدهم خشية له جل علاه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين خافوا ربهم ، وامتثلوا أمره ، واجتنبوا نهيه ، فعاشوا عيشة راضية ، ولهم الجنة العالية (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد)

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وخافون إن كنتم مؤمنين) .

أيها المسلم :

أمر سبحانه وتعالى بالخوف منه ، وجعل أساس الخوف منه الإيمان به ، فاتقيه ، واملأ قلبك بالإيمان بخالقك العزيز الديان : لتخافه في السر والإعلان ، فيؤتيك الحكمة ، فتعيش سعيداً ، وتنال مقاماً محموداً ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « رأس(١) الحكمة مخافة الله » ، وقال مجاهد(٢) : الحكمة الإصابة في القول والفعل .

---

(١) رواه أبو بكر بن لال عن ابن مسعود (ض) .

(٢) تابعي إمام مجمع على جلالته سمع من ابن عمرو وابن عباس .

فسداد الأقوال ، وصلاح الأعمال ، وكرم الأخلاق ، وحسن الخصال - حكمة - وقد قال الكبير المتعال : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب) .

فمن الحكمة — الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، وإمساك اللسان عن التحدث فى غير خير ، وترك الجدل ، وتنقية القلب من الحقد والحسد والغل ، ومخالطة الناس للمساهمة فى الخير ، والتعاون على الصالح العام ، لسلامة المجتمع وسعادته .

ومن الحكمة - الحلم والعفو عند المقدرة ، والرفق واللين فى المعاملة ، والحياء وهو الخلق الذى يحول بين الشخص وفعل ما يذم به ، والإحسان وترك الإساءة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ، ورعاية الأيتام ، والرحمة بالخلق ، وذكر الله على الدوام .

ومن استمسك بآداب الإسلام ، والتزم فضائله وتعاليمه — كان حكيماً ، له الأمن والسعد فى الدنيا والآخرة .

أيها المسلم :

إنك تخاف عقاب الحاكم ، فتبعد عما يغضبه ، وتخاف ما يؤذى ويضر فتفر منه ، طلباً للسلامة ، فتنبه واعلم أن كل أذى وضرر وعقاب — لا يصيبك إلا إذا أراد الله ، الذى بيده وحده الخير والشر ، والثواب والعذاب ، وتدبر قول أبى القاسم الحكيم : « من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه » ، فخفه تعالى ، وتب إليه ، ولازم طاعته ، مجتنباً معصيته (ومن عمل

صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) .

روى ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه قال الله سبحانه وتعالى : « وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة » .

وروى الطبراني في الأوسط . والحاكم في المستدرك « عن أبي هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم — ناداهم بصوت يسمعه أقصاهم كما يسمعه أدناهم ، فيقول : (يا أيها الناس إني قد أنصت إليكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هي أعمالكم ترد عليكم . أيها الناس . إني جعلت نسباً . وجعلتم نسباً . فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم . قلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان بن فلان . وفلان أغنى من فلان . فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون ؟ فيرفع للقوم لواء ، فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم . فيدخلون الجنة بغير حساب) .

٩ — ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله : أنار الوجود بخير البرية ، ونشر السعد والامان برسالته المحمدية ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أنزل على نبينا الكتاب والحكمة ، وعلمه مالم يكن يعلم ، وأرسله لجميع الانام : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، وأشهد ان سيدنا محمداً رسول الله ، صفوة الأولين والآخرين ، المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، المثل الكامل فى جميع الفضائل ، وعلى آله وأصحابه ، الذين اتبعوا سنته وتأدبوا بآدابه (أولئك الذين هداهم الله وأولئكم أولو الالباب) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) .

فى هذا الخطاب الإلهى — أوصاف سنية للنبى صلى الله عليه وسلم ، فى بيانها — توجيه النفوس العاقلة إلى الاهتمام باتباعه ، ومن اتبعه صلى الله عليه وسلم — أحبه الله ، وغفر له ذنبه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم .

فهو — صلى الله عليه وسلم — بكتاب الله الذى ، بلغه هديه

ونوراً وبسنته الهادية الواقية — شاهد(١) بتوحيد الله ، وأنه لا إله إلا الله ، وشاهد بحسن السير والسلوك لمن سلك سبيل الرشد والحق ، والذى هو للثناء والثواب مستحق ، وشاهد على سالك سبيل الغى والباطل المستحق للعقاب العاجل والآجل ، بأنه سيء السير والسلوك ، وسيؤدى صلى الله عليه وسلم تلك الشهادة أداء مقبولا ، يوم القيامة . قال تعالى : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ، فالسعيد من انتبه لهذا الوصف ، واهتدى بقول الله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

وهو — صلى الله عليه وسلم — مبشر للمؤمنين ، الذين يعملون الصالحات بالحياة الطيبة ، وحسن العاقبة . فى جنات النعيم . (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) .

وهو — صلى الله عليه وسلم — نذير بالنار للكافرين ، الذين يأكلون نعم الله ولا يشكرون ، وعن عبادته يستكبرون (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من

---

(١) من معانى الشهادة — العلم والتبين ، والاخبار بما قد شوهد واطلع عليه وعوين .

عذابها كذلك نجزى كل كفور) .

وهو — صلى الله عليه وسلم — داع إلى الله بإذنه : داع إلى توحيده تعالى ، والإيمان به وطاعته ، بتيسيره (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) .

وهو — صلى الله عليه وسلم — سراج منير ، يستضاء به فى ظلمات الجهل والغواية ، ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية ، وآية ذلك سنته الحميدة المنيرة ، وسيرته الشريفة العطرة .

أيها المسلمون :

فى شهر ربيع الأول — ولد نبينا الكريم ، الموصوف بتلك الصفات الباهرات ، خير والد ومولود ، سيد الوجود ، الذى بعثه الله للإيمان منادياً ، وإلى الصراط المستقيم هادياً ، وإلى الجنة داعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، وفى مرضاة ربه ساعياً ، إمام أهل الكمال ، الذى به أيقظ الله الضمائر ، ونور البصائر ، وطهر السرائر ، وأزال من النفوس الحقد والبغضاء ، وعمر القلوب بالمحبة والصفاء ، ونشر فى الناس مبادىء العدل والحرية والمساواة والإخاء ، فصار الناس بها إخواناً أحباء .

عباد الله :

فى ذلك الشهر الكريم — احتفلوا بإحياء ذكرى مولده

صلى الله عليه وسلم ، فإنكم حينئذ تحتفلون بذكرى أشرف رسول أتى بأشرف دين ، وبالمبادى القويمة ، والتعاليم التى بها سمت الإنسانية ، وسعدت البرية ، وليكن الاحتفال بتلاوة القرآن وتدبره وتدارسه ، وتذاكر سنته صلى الله عليه وسلم وسيرته ، ومدارسة شريعته ، والاقتداء به فى الاعتقاد والخلق والعمل . بذلك تكونون مستجيبين لدعوته ، صادقين فى حبه ، مرضين له ولربه ، موقرين لجنابه ، فتفوزون بخيرى الدنيا والآخرة (فالذين آمنوا به وعزروه(١) ونصروه واتبعوا النور(٢) الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه سئل عن صوم يوم الاثنين ، فقال : «ذلك يوم ولدت(٣) فيه ويوم بعثت أو أنزل(٤) على فيه » .

---

(١) أى وقروه ، ويستحسن من الخطيب أن ينطق بذلك القول عقب النطق بقوله تعالى : (وعزروه) الذى هو معنى له.

(٢) هو القرآن الكريم .

(٣) يدل ذلك القول النبوى الكريم على أنه ينبغى لكل مسلم أن يشكر لله تعالى لولادته وظهوره فى هذا العالم شكراً يؤدى إلى اتخاذ يوم ولادته ورداً يصومه من كل أسبوع ، وذلك دليل واضح على الاحتفال والفرح بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى أو أنزل الوحى على فيه .

١٠ — ذكرى الهجرة

الحمد لله : جعل فى انقضاء الأيام ، وتعاقب الشهور والأعوام عبرة للأنام ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يحب من هاجر إليه ، ودعا إلى الحق الذى بنى الكون عليه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، بعثه سبحانه بالحق والرفق ، والمروءة والصدق ، والعزة والألفة ، وطهر السريرة ، ونور البصيرة ، وحماية العشيرة ، وحب الوطن ، والبذل والتضحية ، وإثارة روح الجهاد ، لسعادة العباد ، وأمن البلاد ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فعزوا وعظم أجرهم .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم .

أيها المسلمون :

إن استقبال سنة هجرية جديدة — يذكرنا بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

وإن تلك الهجرة الشريفة — تذكرنا بأن التوكل على الله — مع مباشرة الأسباب — يكسب عون الله لبلوغ المراد : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره) ، فإن رسول الله

صلى الله عليه وسلم - هاجر متوكلا على الله ، غير مبال بالشدائد ، منتقلا بالحق من مكان يحارب فيه ، ويمنع ظهوره ، إلى مكان يجد فيه من يعينه وينصره ، فأعانه الله ، وأعمى عنه الكافرين ، وخذلهم وهم يجدون فى طلبه ، حتى وصل أنصار الحق بسلام ، وفى إجلال وإكرام ، وقد أقام أولئك الأنصار مع المهاجرين ، المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة ، بقيادته عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك المجتمع السعيد — كان جنود الحق ، الذين نشروه فى الخلق ، وجاهدوا فى سبيل الله مذيعين مبادىء العدل والإحسان فى الحياة ، أولئك الذين بهم فتح الرسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وطهرها من الباطل والأصنام فأصبحت وطن توحيد وإسلام ، ولم يعد فضل فى الهجرة منها ، وصار الفضل فى الجهاد فى سبيل الله ، وإخلاص النية فى عمل الخير لله : قال صلوات الله وسلامه عليه(١) « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

وتذكرنا الهجرة بالعزم والنضال ، والصبر والاحتمال والبذل والفداء ، والتضحية ، والألفة والإخاء ، والاتحاد فى السراء والضراء ، فبهذه الصفات النبيلة - هاجر الرسول وصحبه ، وتمت الهجرة ، وأثمرت أطيب ثمرة .

أيها المسلمون :

اذكروا فى ذكرى الهجرة أن النصر من عند الله واقرءوا قوله جل علاه : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) .

ولينصركم الله — اذكروا هجرتكم إليه تعالى ، بأن تعبدوه ، وحده ، وتنيبوا إليه وتتقوه وتحبوه ، وترجوا رحمته وثوابه ، وتخافوا نقمته وعذابه ، وتتوكلوا عليه ، وتجاهدوا فى سبيله ، واذكروا هجرتكم إلى رسول الله ، بأن تحبوه وتتبعوا سنته ، وتصدقوه فيما أخبر به ، وتنهضوا بأعباء دعوته ، وتعملوا بأحكام شريعته ، وتؤثروا أمره على أمر غيره ، وتجعلوا هوى نفوسكم تبعاً لما جاء به .

أيها المسلمون :

خذوا من هجرة نبيكم وصحبه أفصح عبرة ، وأبلغ عظة ، فلا تهولنكم المصاعب ، ولا تصرفكم الشدائد عن أكرم الرغائب ، واملئوا نفوسكم بالأمل ، مع الاستقامة وحسن العمل ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وأخلصوا النية لله فى فعل الخير ، وتأييد الحق ونصرته - تكسبوا الفضل ، وتغنموا عظيم الأجر (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) .

روى البخارى ومسلم عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ،

فمن(١) كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها(٢) فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وروى المقدسى فى كتاب الحجة على تارك سلوك طريق المحجة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

---

(١) المعنى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله قصداً ونية فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً .

(٢) أى يتزوجها كما فى رواية ، وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس) .

١١ — ذكرى الإسراء والمعراج

الحمد لله العلى الأكرم . أسرى بعبده ليلا من حرم إلى حرم ، وأشهد أن لا إله إلا الله . المتفضل بالنعم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، المفرد العلم ، والنعمة العظمى لمغتنم . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا بالغيب ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقهم الله فأمدهم الله بنصره ، وأعد لهم أجراً عظيماً .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا(١) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

أيها المسلمون :

فى ليلة زهراء ، عظيمة البهاء — أسرى العلى الأعلى بعبده حبيبه ومصطفاه ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بفلسطين ، وشرفه الله سبحانه وتعالى بالعروج من المسجد الأقصى ، إلى ما فوق السموات العلى ، واختصه بمنزلة ، عنده من القرب والعز والرضا ، لم تدرك ولم ترم .

فى هاتين الرحلتين ، الأرضية والسماوية - أرى الله نبيه الكريم بواهر من آياته ، وعجائب من دلائل قدرته وعظمته وعاقبة بعض

(١) أى فى جزء قليل من الليل .

المطيعين أهل وده ورضاه ونهاية طوائف من العصاة ، وما لهم من عقاب ، لسوء عملهم فى الحياة ليتعظ المؤمنون ، ويزداد هدى العقلاء الراشدون .

فى طريقه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى — مثل له المجاهدون فى سبيل الله ، وما لهم من عظيم الأجر عند الله — على هيئة قوم يزرعون فى يوم ، ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد الزرع كما كان ، فقد بذلوا أرواحهم وأموالهم لإعلاء كلمة الإسلام والإيمان ، ومثل له حال المتثاقلين عن الصلاة المكتوبة - بحال قوم ، تتكسر رءوسهم بالصخر ، كلما كسرت عادت كما كانت فهم فى ذلك العذاب ما كثون ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا ، ومثل له مانعو الزكاة - بحالهم(١) التى يكونون عليها يوم لقاء الله فرأى قوماً تستر المرقعات قبلهم ودبرهم ، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع(٢) والزقوم(٣) وجمر جهنم ، ومثل له

(١) الحال : وصف الشىء يذكر ويؤنث ، فيقال حال حسن ، وحال حسنة ، وقد يؤنث بالهاء ، فيقال : حالة

(٢) هو فى الدنيا : شجر شائك لاتطيق الدواب أكله لخبثه ، وفى النار : شجر يشبه ذلك الشجر ، أمر من الصبر ، وأنتن من الجيفة ، وأشد حرارة من النار

(٣) ذو نبت شديد المرارة يوجد بتهامة ، ووجه الشبه بينه وبين شجرة الزقوم فى النار — هو التسمية فقط ، فلا وجود لشجرة الزقوم فى الدنيا : تلك التى وصفها الله تعالى بقوله : [طلعها كأنه رءوس الشياطين] أى ثمرها الذى يطلع منها — فى تناهى قبحه وكراهته — كأنه رءوس الشياطين فى قبح منظرها وبشاعتها : يكره أهل النار على أكله ، فهم يتزقونه على أشد الكراهة والتشبيه برءوس الشياطين على نحو ما جرى به استعمال المخاطبين — العرب — من التشبيه بالشيطان . إذا أرادوا المبالغة فى تقبيح الشىء

=

حال الزناة ـ بحال قوم بين أيديهم لحم نضيج طيب فى قدر ، ولحم نىء خبيث فى قدر ، فجعلوا يأ كلون من النىء الخبيث ، مع ظهور مضرته ، ويدعون النضيج الطيب ، مع وضوح فائدته ، ومثل له حال من جحد فى دنياه أمانات الناس يوم القيامة ، يوم يحمل أوزار الناس على ظهره مع أوزاره ـــ بحال رجل جمع حزمة حطب عظيمة لايستطيع حملها ، ولجشعه يزيد عليها ، ومثل له حال الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم ، ويغتابونهم ويذكرونهم بما يكرهون ـ بحال قوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون ويجرحون بها وجوههم وصدورهم ، ومثل له من يتكلم بالكلمة التى تهلك وتضر ، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، بجحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ـ ومثل له آكل الربا ـ برجل يسبح فى نهر من دم ، يرمى بالحجارة فى فيه ، فيبتلعها ، والحجارة فى البطن تضر ولا تنفع ، ومثل له قطاع الطريق الذين يخيفون الناس ويقتلونهم ، ويأخذون أموالهم ، والذين يصدون عن الإيمان بالله ورسوله ، ويضلون الناس عن الحق ـــ بالخشبة المعترضة فى الطريق ، لايمر بها ثوب إلا خرقته ، ولا شىء إلا أفسدته ، فقطاع الطريق ـ خرجوا بطغيانهم وضلالهم ـ عن الحيوانية ، فضلا عن الإنسانية ، وصاروا كالخشبة الموضوعة فى الطريق ، لإيذاء الناس ، ونهايتها الإحراق ، ومثل له خطباء الفتنة ، الذين يقولون ما لا يفعلون ، الذين يظهرون أنهم بالمعروف آمرون ،

= فيشبهون كل ماتناهى فى القبح بما يتخيله الوهم وإن لم يروه . وهو وجه الشيطان أو رأسه .

وعن المنكر ناهون ، وهم لا يريدون بمظهر الدين والصلاح إلا الدنيا الفانية — بحالهم التي يكونون عليها يوم جزائهم ، فرأى قوماً تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، فهم في ذلك العذاب مستمرون (وماربك بظلام للعبيد) .

وفي المسجد الاقصى — صلى(١) عليه الصلاة والسلام إماما بالأنبياء وفوق السموات العلى ، في مقام أعلى ، اختص به الملك الجليل حبيبه النبيل — فرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة .

أيها المسلمون :

اذكروا بذكرى الإسراء والمعراج عظمة نبيكم الأمين وكرامته عند رب العالمين ، وما حباه به من العناية والفضل العظيم ، واتعظوا بما مثل له صلى الله عليه وسلم ورأى ، فجاهدوا في سبيل الله ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ولا تؤذوا أحداً في نفسه أو ماله أو عرضه ، وفكروا قبل القول في عواقبه لتقولوا خيراً ، أو لتصمتوا ، فتنجوا (واعلموا أن الله مع المتقين) .

روى البخاري والطبراني عن ابن عبـــاس : رضي الله عنهما . وأبي حية العبدري : رضي الله عنه أنه صلى الله عليـــه وسلم قال : (عرج بي حتى ظهرت (٢) بمستوى أسمع فيه صريف (٣) الأقلام) .

(١) رواه البزار والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال : (فنشر لي الانبياء من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم) .

(٢) علوت على مكان أستوى عليه .

(٣) أصوات الأقلام : بيد الملائكة يكتبون بها ما أمروا أن يكتبوه والأقلام والكتابة يناسبان ذلك الملا الأعلى ، فلا نعلم كيف هما .

١٢ — الاسلام والتكافل الاجتماعى

الحمد لله : هدى الناس إلى الحياة الطيبة بالإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أوجب التعاون على مافيه خير الأنام ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير داع إلى الإحسان والمواساة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، المحسنين الكرام .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) أى بعضهم أعوان بعض .

أيها المسلم :

دينك هو دين التكافل الاجتماعى ، والتعاون لخير الفرد والجماعة ، فما ملكت وتحتاج إليه ، ويحتاج إليه من تجب نفقتهم عليك ، للطعام والشراب والسكن ، والعلاج ، والتعلم — لاحق لأحد فيه ، وليس لإنسان أن يطالبك بقدر منه ، أما مافاض عن حاجتك ، وحاجة من تجب نفقتهم عليك — فهو حق للمحتاج له بجانبك ، وعليك أن تعطيه إياه .

فإذا رأيت مسافراً إلى الجهة التى تريدها ، وتتسع سيارتك لركوبه معك - وجب عليك ركوبه معك ، لتوفر عليه مشقة السير فى طريق ، قد تكون طويلة شاقة .

ولا يرضى الإسلام أن تشبع وقريبك جائع ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : « من سره أن يبسط له فى رزقه . وينسأ(٢) له فى أثره ، فليصل رحمه » .

ولا يرضى الإسلام أن تصم أذنيك عن حاجة جارك وأنت تقدر على قضائها ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه(٣) : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

ولا يرضى الإسلام أن تفسد عندك بقايا الطعام ، وبجانبك من يعانون آلام الجوع من العجزة والمرضى ، وذوى العاهات والأرامل والأيتام .

ولا يرضى الإسلام أن تعطل مازاد عما تحتاج إلى زرعه بنفسك من أرضك الزراعية ، وحولك زراع فى حاجة إلى استئجار ما عطلته ، ولا أن تعطل شقق منزلك الضخم عن السكن ، وهناك من يحتاج إلى سكناها .

ولا يرضى الإسلام أن تحتكر بضاعتك ، وتخزنها فى انتظار سعر أغلى ، مادام الناس فى حاجة اليها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام (٤) : « بئس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلاها فرح » .

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) يؤخر له فى أجله
(٣) رواه البخارى ومسلم
(٤) ذكره رزين فى جامعه

وبلغ من عناية الإسلام بالتكافل الاجتماعى - أن أوجب الزكاة فى مال الأغنياء ، سداً لحاجة الفقراء ، ونهى عن البخل ، ورغب فى المواساة ، ولقد كان التكافل الاجتماعى محققا بين من سبقنا من المسلمين ، فبينوا للناس بعملهم ، فى وضوح وجلاء أن الإسلام - يدعو إلى التعاون على مطالب الحياة وحاجاتها ، وما فيه خير الناس ، ونجاتهم من الشر ، ويكفل لكل إنسان حق الحياة الكريمة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يشترى بئر رومة غفر الله له » فأتى عثمان بن عفان رضى الله عنه صاحبها - فاشترى منه نصفها باثنى عشر ألف درهم ، وقال له : إن شئت كان لك يوم ، ولى يوم ، فقال اليهودى : بل يكون لى يوم ولك يوم ، فكان الناس يستقون فى يوم عثمان ليومين ، فقال اليهودى : أفسدت على نصيبى فاشتر بقيتها منى ، فاشتراه منه بثمانية آلاف من الدراهم ، وسبلها (١) للمسلمين .

وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعريين فقال(٢) : « إن الأشعريين إذا أرملوا - أى قارب زادهم الفراغ - فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة - جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم (٣) منى وأنا منهم » .

---

(١) جعلها فى سبيل الخير لهم
(٢) رواه البخاري و مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه
(٣) أى طريقنا واحدة وفعلنا واحد

وبلغ من شأن التكافل الاجتماعى فى الإسلام — أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — مر برجل يهودى مسن ، وهو يسأل على الأبواب ، فذهب إلى منزله وأتى له بشىء ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال له : انظر هذا وأمثاله ، فوالله ما أنصفناه ، إن أكلنا شبيبته ثم خذلناه عند الهرم ، وأمر بأن توضع عنه الجزية ، وينفق عليه من مال الدولة .

أيها المسلمون :

اتقوا الله وكونوا مسلمين حقاً ، فتوادوا وتراحموا وتعاطفوا ، واهتموا بشئون بعضكم ، وليواس كل منكم أخاه — يسعد مجتمعكم ، ويهبكم عدوكم ، وتبرهنوا للعالم أن الإسلام وحده — هو سبيل السعادة والهناء ، والسلامة من الشقاء « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله قال : « بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة(١) له ، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من كان معه فضل(٢) ظهر فليعد(٣) به على من

---

(١) هى المركوب من الإبل جملا كان أو ناقة .
(٢) أى مركوب فاضل عن حاجته .
(٣) أى ليتصدق به وليقدمه لذلك المحتاج إليه معونة ومساعدة .

لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر (١) من أصناف المال ماذكر حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل ، أى فاضل عن حاجته .

وروى الطبرانى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجته) .

(١) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من قول أبى سعيد راوى الحديث . وليتأمل ذلك الحديث النبوى الشريف من تبهرهم الشيوعية بدعواها الجوفاء ، لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويرون ، أن الاسلام وحده هو طريق الحياة الطيبة .

١٣ — السخاء يكسب الأجر والثناء

الحمد لله : يحب الأسخياء ، ويبغض البخلاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله . الغنى الجواد(١) ، الذى يعلى قدر من جاد ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أجود الناس ، وعلى آله وصحبه ، الذين ملكوا القلوب بالجود والسخاء ، وسادوا بالبذل والعطاء .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى) .

فى ذلك القول الكريم - وعد الله تعالى من أعطى وسخا وبذل ، واتقى وصدق بالكلمة(٢) الحسنى - بالتيسير للخصلة التى تؤدى إلى اليسر والراحة فى الدنيا والآخرة ، وهى الأعمال الصالحة ، وأوعد من بخل ، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ، وكذب بالحسنى - بالتيسير للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة فى الدارين وبين أنه لا ينفعه ماله إذا سقط فى حفرة القبر أو قعر جهنم .

---

(١) روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى جواد يحب الجود ، ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها) .

(٢) هى الكلمة المتضمنة الإيمان بكل ما يجب الإيمان به ، أو صدق بالملة الحسنى ، وهى ملة الاسلام ، أو بالمثوبة الحسنى ، وهى الجنة ، أو بالخلف فى الدنيا مع المضاعفة عما أنفق .

أيها المسلمون :

السخاء يهدى صاحبه إلى أنواع من الخير مشكورة ، فيصل رحمه وقرابته ، ويعطف على الفقراء ، ويغيث الملهوف ، ويكرم الضيف ، ويؤدى الزكاة ، ويجاهد فى سبيل الله ، ويسارع فى الخيرات ، فيرعى اليتامى ، ويواسى الأرامل ، ويريح قلوباً علقت به الآمال .

وإن السخى خير ، كبير الثقة بالله ، قد سلم من داء البخل ، الذى يجعل القلب قاسياً، ويحمل على التضييق على النفس والأهل ، وحرمان الناس من الخير ، فسلم من قسوة القلب ، وبغض أهله والناس له ، فهم يبغضون من حرمهم خيره ، ويتمنون موته ، ولذلك تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من البخل فقال :(١) (اللهم إنى أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات) .

السخى - ياقوم - مواطن صالح : يبذل المال يعين على إنشاء المستشفيات وعمارة المساجد ، وبناء المدارس ، وإقامة المؤسسات التى تصون الأوطان . وترفع شأنها ، وتهبها العزة والسعادة ، ويصون ماء الوجه عن أن يراق ، ويحيى ميت الرجاء ، ويشرح الصدور الحرجة، لشدة الحاجة ، فيمنحه الله قربه ، ويشرح صدره ، ويغفر ذنبه ويفرج كربه ، ويوفقه للجنة ، ويجعل النفوس تقبل إليه بالمحبة والإجلال والثناء .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

ولذلك - قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(١) « السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، والجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل » .

أيها المسلم :

تغط بأثواب السخاء فإننى أرى كل عيب والسخاء غطاؤه
ويظهر عيب المرء فى الناس بخله
ويستره عنهم جميعا سخاؤه

ثق بمولاك عز وجل ، وابذل مما أعطاك فى سبيله تعالى ولا تبخل، يعطك أجراً جزيلا ، ويجعل لك ذكراً جميلا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

روى أبو الشيخ فى كتاب الثواب وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ . « الجنة دار الأسخياء » .

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها ، فقال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : وعزتى وجلالى ، لا يجاورنى فيك بخيل » .

---

(١) رواه الترمذى .

١٤ - فى التبرع لتسليح الجيش خير الدنيا والآخرة

الحمد لله وعد من أنفق فى سبيله ، أن يزيده من فضله ، ولن يخلف الله وعده ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أمر بإعداد القوة(١) لدفع الأعداء المعتدين ، فقال فى كتابه المبين : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط(٢) الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى تسليح المجاهدين فى سبيل الله ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، جيش الحق ، الذى حمل علم الهداية إلى الخلق ، وكان فضل الله عليه عظيما .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ذلك أمر الله لعباده ، بالإنفاق فى سبيله ، ومن ذلك الإنفاق - بذل المال ، والتبرع به لتسليح الجيش - ليقوى المسلمون على عدوهم ، ويدل قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) - على أن ترك الإنفاق - سبيل الهلاك

---

(١) أى كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان ، ويتحقق ذلك بتكوين الجيوش العاملة ، وتجهيزها بأحدث المعدات ، واستيفاء جميع الأسلحة البرية والبحرية والجوية ، وإنشاء مصانع للذخيرة ، والتضحية بالمال لذلك والتدريب العسكرى .

(٢) أى من ربط الخيل ، التى تربط معدة للقتال فى سبيل الله تعالى ، وخصت بالذكر من بين ما يتقوى به لمزيد فضلها وغنائها فى الحرب ، وعظم نفعها فيها .

والدمار ، كما يدل قوله تعالى (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) — على أن الإنفاق فى سبيله تعالى — إحسان ، يكسب حب الله ورضاه .

يا عباد الله .

جيش الوطن . هو درعه الواقية وسياجه المنيع ، وحصنه الحصين ، يرد الاعتداء عليه ، ويصون مصالحه ، ويحافظ على خيراته ويحمى حريته ، ويحفظ استقلاله ، ويمنع احتلاله ، ويجعله آمنا مطمئنا ، فى هناء ورخاء ، حتى يؤدى أهله رسالاتهم فى الحياة كاملة .

وما استقامت عقيدة ، ولا استقر نظام ، ولا كان مجد وسيادة ، ولا شعرت أمة بالعز إلا فى حمية الجيش ومنعته ، ولن يرهب جانب الشعب ، وتسمع كلمته ، ويطاع أمره إلا إذا كان له من أبنائه جيش قوى ، وتسمع كلمته ، ويطاع أمره إلا إذا كان له من أبنائه جيش قوى ، سليم ناهض ، كامل الذخيرة والعتاد(١) . يحمى حدود بلاده ، ويدافع عن سلامتها ، ويلفت الشعوب إلى احترامه وتوقيره .

فقوة الشعب وكرامته من قوة الجيش وكرامته ، وليس مع الإيمان شىء كالسلاح ، فى إعلان القوة ، وتاييد الحق وإرهاب الأعداء وحماية السلام .

---

(١) العتاد : هو ما أعد من السلاح والدواب وآلة الحرب .

(ألا كل شعب ضائع حقه سدى(١)
إذا لم يؤيد حقه المـــدفع الضخم)

فسارع - أيها المسلم - إلى التبرع لتسليح الجيش بأحدث سلاح ، وأقوى عدة ، إعلاء لشأن وطنك المجيد ، ومساهمة فى زيادة قوته ، ودعم حصنه وتقويته ، واعلم أن ما تتبرع به - قل أو كثر - عائد إليك عزاً وخيراً ، وأمناً ونجاة (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) فابذل بسخاوة ، ولاتستقل ما تبذل : إن القليل مع القليل كثير ، وإذا بذلت الكثير لجيش الوطن به جدير (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) ، (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ، وقال عبد الرحمن بن سمرة : جاء عثمان بن عفان رضى الله عنه بألف دينار(٢) فى كمه ، حين جهز جيش (٣) العسرة ، فنثرها فى حجره ، صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول(٤) : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » إن التبرع لتجهيز الجيش وتسليحه ، وإعداده للغزو والجهاد فى سبيل الله ، ودفع العدوان عن وطن الإسلام — عمل صالح جليل ، يعقب الأجر الجزيل ، ويلحق المتبرعين بالمجاهدين فى ثوابهم العظيم .

فاتقوا الله — عباد الله واغنموا بتبرعكم لتسليح جيشكم ثوابه

---

(١) مهملا .
(٢) قيمة الدينار أكثر من خمسين قرشاً صاغا .
(٣) هو جيش غزوة تبوك ، التى كانت فى رجب سنة ٩هـ من الهجرة وكان الحر شديدا وكان الناس فى حال عسرة وشدة .
(٤) رواه الترمذى .

الدنيا وحسن ثواب الآخرة (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) .

روى(١) البخارى ومسلم عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً فى أهله بخير فقد غزا » .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن زيدبن ثابت ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازياً فى سبيل الله فله مثل أجره ، ومن خلف غازياً فى أهله بخير ، وأنفق على أهله فله مثل أجره » .

وروى النسائى والترمذى ، وابن حبان والحاكم ، عن خريم ابن فاتك — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أنفق نفقة فى سبيل الله — كتبت له بسبعمائة ضعف) .

---

(١) وروى البيهقى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ؛ صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير ؛ والذى يجهز به فى سبيل الله ؛ والذى يرمى به فى سبيل الله) ؛ والذى يجهز بالسهم هو من يتبرع به ، أو يشتريه بماله للمجاهد فى سبيل الله .

١٥ — مواساة البائسين والمحتاجين

الحمد لله الكريم الرحمن ، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، إمام المحسنين ، وعلى آله وصحبه الرحماء المخلصين .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) .

فى ذلك القول الكريم — يأمر الله تعالى من أعطاهم المال وجعلهم خلفاءه ووكلاءه عنه فى التصرف فيه — بالإنفاق على المحتاجين ، والإحسان إلى البائسين ، ويعد من امتثل ذلك الأمر أجراً عظيما .

أيها الموسرون :

أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده ، والمال مال الله ، جعله الله فى أيديكم امتحاناً لكم ، فإذا أنفقتم منه ، وواسيتم المحتاجين ، وأحسنتم إلى من يأمل خيركم من البائسين ـ أحبكم الله وحفظ عليكم نعمته ، وتفضل عليكم بالبركة فيها ، والمزيد منها ؛ وإذا بخلتم ، وحرمتم الفقير من الخير الذى جعلكم الله

مستخلفين فيه ، فقد رضيتم أن تكونوا النعمة جاحدين لا شاكرين ، وتعرضتم لانتقام الله ، وعرضتم نعم الله عليكم للزوال والضياع (وإذ تأذن(١) ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن(٢) كفرتم إن عذابي لشديد) . وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :(٣) « إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد : يقرهم فيها مابذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » .

أيها المسلمون :

يقول الله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) ويقول : (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

فليس البخل والإمساك — بعد ذلك الوعد الكريم — غير سوء ظن بمن لا يخالف وعده ، وهو العلي العظيم ، (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء) .

وحسب البخيل الذي لا يرحم البائس المتألم ، ولا يعطف على المحتاج المحروم - قسوة قلبه ، وبعده من رحمة ربه (إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه(٤) : « إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب » .

---

(١) أعلم . (٢) جحدتم ما أنعمت به عليكم .
(٣) رواه الطبراني في الكبير والأسط وابن أبي الدنيا .
(٤) رواه الترمذي .

ألا إن الإسلام دين التراحم ، فلا يليق من ذوى الميسرة من المسلمين أن يدعوا مواطنيهم يذوقون ألم الإعسار ، ولا أن يتمتعوا بألوان الطعام ، ووافر الغذاء ، وعظيم الكساء وموفور الغطاء ، وإخوانهم يتألمون من الجوع والحرمان فى الصباح والمساء ، ويكاد يهلكهم برد الشتاء ، وقد قال رسول الإسلام سيد الأنبياء ، عليه الصلاة والسلام(١) : « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا يارسول الله ، كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » ، وكان الأنصار من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقدمون المهاجرين على أنفسهم فى كل شىء من أسباب العيش ، فمدحهم الله تعالى بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)(٢) .

فمن لم تعل همته ، لتكون مثلهم ، فليعطف على البائسين والمحتاجين ببعض ما يزيد عن حاجته ، ليدفع شر الحاجة عن نفسه : قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(٣) صنائع المعروف تقى مصارع السوء » .

أيها المسلمون :

اشكروا لله ، واصنعوا المعروف ما استطعتم ، وساهموا فى معونة المحتاجين بما تجود به نفوسكم ، وواسوا البائسين بما تفضل

---

(١) رواه الطبرانى (٢) حاجة وفقر .
(٣) أخرجه القضاعى عن أبى أمامة رضى الله عنه .

به عليكم - ربكم - تمتلىء قلوبهم بمحبتكم ، وتعيشوا فى أمن واطمئنان ، وتفوزوا برحمة من الله ورضوان (وذلك الفوز العظيم) .

روى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عرى كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة » .

وروى أبو الشيخ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جزعاً ، أو تقضى عنه ديناً » .

وروى الطبرانى فى الصغير ، عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ، ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة » .

١٦ — الأمل رحمة من الله تعالى

الحمد لله الذى من رحمته الأمل ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يتفضل ببلوغ الأمل على من أحسن الظن به تعالى ، فأحسن العمل ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعظم الناس أملا ، وأزكاهم عملا ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين حسنت أخلاقهم، وكملت صفاتهم ، فملأ مركزهم فى الوجود (وهدوا إلى الطيب(١) من القول وهدوا إلى صراط(٢) الحميد) .

أما بعد : فقد حبب الله الأمل ورجاء الخير فى الحياة إلى النفوس ، لترغب فى العمل الصالح بلا ملل ، وكره إليها اليأس من رحمته والقنوط من إحسانه ، والأمل الكاذب المهلك الذى يلهى عن طاعته تعالى وليس معه عمل يبلغ رضاه . وجعل سبحانه اليأس والقنوط من صفات الكافرين والضالين فقال تبارك وتعالى : (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح(٣) الله إلا القوم الكافرون) وقال جل شأنه (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) وقال سبحانه : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم(٤) الأمل فسوف يعلمون) .

---

(١) أفضله لا إله إلا الله .

(٢) طريقه تعالى ، وهو الإسلام .

(٣) رحمته تعالى .

(٤) يشغلهم الأمل بطول العمر ونحوه ، وهو الأمل المهلك ، فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : (صلاح أول هذه الأمة بالزهادة واليقين — وهلاك آخرها بالبخل والأمل) .

أيها المسلمون :

الأمل خلق عظيم ، به يسير العاقل جاهداً فى الحياة ، متبعاً للحق فى عمله وهو يرجو رضا الله ، فما أصابه من خير شكر لله ، الذى تفضل به وأعطاه ، وما أصابه من شر قابله بقلب ثابت ، وصبر على ما ابتلاه به الله ، وتضرع اليه تعالى أن يخلف عليه فيما أصابه ، واستأنف العمل ، واضعاً نصب عينيه الأمل :

فليست حياة المرء إلا أمانياً
فإن هى ضاعت فالحيــــاة على الأثر

بالأمل الباسم ، والرجاء المنير ـ جاهد نبينا صلى الله عليه وسلم وكافح ، وصابر وصبر ، فظفر وانتصر ، وكان فى قلة ، فأصبح فى كثرة وكان فى ضعف فصار فى قوة .

كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عظيم الأمل فلا يقنط ، وكبير الرجاء فلا ييأس .

وعد عليه الصلاة والسلام أصحابه فتح اليمن والشام ، والمشرق والمغرب ، والأحزاب من المشركين واليهود مجتمعون لغزو المدينة المنورة ، وكانت الشدة بأهلها حينئذ ـ كما وصفها الله تعالى بقوله : (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت(١) الأبصار وبلغت القلوب الحناجر (٢) وتظنون بالله الظنونا (٣)) .

---

(١) مالت من الحيرة

(٢) جمع حنجرة . وهى منتهى الحلقوم . وبلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف .

(٣) الظنون المختلفة بالنصر واليأس .

وكما صورها بعض المنافقين فقال : إن محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يخرج لقضاء حاجته .

ومازال المؤمنون الصادقون فى أنس بنور أمله ورجائه صلى الله عليه وسلم حتى زالت تلك الشدة ، وذهب الأحزاب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى (١) الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً) .

ولا عجب أن كان أمله صلى الله عليه وسلم لايزول ولايتغير ، ورجاؤه لاينطفئ له نور ، مهما كانت الكارثة ، وفظمت الحادثة ، فهو - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس إيماناً بالقوى العزيز ، القائل : (إن مع العسر يسراً) ، العادل الذى ينصر أهل الحق والهدى ، ويهزم أهل الباطـــل والضلال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

وقد كانت آمال أصحابه — كأمله عليه الصلاة والسلام — صادقة مصحوبة بالعمل الذى يحققها . ففتح الله على يدهم البلاد التى وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم فتحها .

فالأمل قبس من نور الله : يضىء السبيل ، وروح من الله يحيى النفوس : به الحياة نعيم سائغ . وهى بدونه عذاب لايطاق . وبه التغلب على المحن والصعاب . فهو - حقا - رحمة من الله الرحمن الرحيم .

---

(١) بالريح والملائكة - الواردين فى قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) .

عباد الله :

سيروا فى الحياة بأمل (١) ورجاء ، واعلموا أن بلوغ الآمل بالعمل واسعوا بكل مافيكم من قوة ، لتحقيق آمالكم ، لخير دينكم ووطنكم وحسن حالكم ومستقبلكم ، إن المؤمن الواثق بالله — لاييأس من رحمة الله ، ويعلم علم اليقين أن الله ينصر الصابرين .

روى الخطيب البغدادى فى التاريخ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . «إنما الأمل رحمة من الله لأمتى ، لولا الأمل ماأرضعت أم ولداً ، ولا غرس غارس شجراً » .

---

(١) ماأصدق الشاعر العربى إذ قال :
أعلل النفس بالآمال أرقبها ماأضيق العيش لولا فسحة الأمل

١٧ – السيادة للمستقيم

الحمد لله العلى العظيم ، الجواد الكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ يحب أهل التقوى والسخاء ، ويبغض الفساق والبخلاء ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل الخلق ، وأتقاهم لله ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، السادة الكرام ، هداة الأنام .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب (١) أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة (٢) من الله وسيداً (٣) وحصوراً ونبياً من الصالحين) .

فى هذه الآية ـ أربع صفات ليحيى الولد الصالح ، الذى بشر به زكريا ، وهى أنه مصدق بعيسى ، وسيد ، وحصور ، أى مبالغ فى حصر نفسه ، وحبسها عن الشهوات ، ونبى من الصالحين .

يا عباد الله :

إن وصف يحيى ، النبى الصالح بالسيادة ـ دليل على شرف هذا الوصف ، وأنه لا يلقب به كل إنسان ، فليس الطالح أهلا له إذ كان الصالح له أهلا .

---

(١) الغرفة ، والمسجد وأشرف جهة فى المسجد .
(٢) سمى عيسى كلمة لأنه خلق بكلمة كن بدون أب كما هو معلوم .
(٣) يسود قومه .

فن العدل أن تخص بوصف السيد من صلحت أعماله ، وكرمت أخلاقه وخصاله ، وسعى جاداً فى سبيل الله وإعلاء كلمة الله ، وكرامة الوطن المتين بدين الله . قال ابن عباس(١) : قيل : يارسول الله من السيد ؟ قال : « يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، قالوا : فما فى أمتك سيد ؟ قال : بلى(٢) رجل أعطى مالا ورزق سماحة(٣) ، وأدنى(٤) الفقير ، وقلت شكاته(٥) فى الناس » .

جدير بلقب السيد — العفيف النقى التقى ، الذى كف أذاه عن الناس ، وبذل معروفه ، وجبر خواطر الفقراء وأعطاهم مما أعطاه الله .

وجدير بلقب السيد — الحليم المحسن ، الذى لا يفجر فى الخصومة . قيل لقيس بن عاصم — أحد سادة العرب — : بم سدت قومك ؟ فقال : (لم أخاصم أحداً إلا وتركت للصلح موضعا) .

وجدير بلقب السيد — الجواد السخى الكريم : قال(٦) النبى صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة : « يا بنى سلمة ، من سيدكم ؟ قالوا : جد بن قيس ، على أننا نبخله(٧) قال وأى داء أدوأ(٨) من البخل ،

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٢) أى فى أمتى سيد : وهو من وصفه بعد فقال : رجل أعطى إلى آخر الحديث .
(٣) جودا (٤) قرب (٥) شكواه
(٦) رواه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد عن جابر رضى الله عنه . وبنو سلمة : بطن من الأنصار .
(٧) ننسبه للبخل (٨) مأخوذ من الداء .

بل سيدكم الأبيض عمرو بن الجموح ، وإنما كان سيدهم لجوده وسخائه وكرمه .

أيها المسلمون :

لقبوا بالسيادة هؤلاء الجديرين بها ، ولاتلقبوا بها الفاسق فتلبسوا الرذائل ثوب الفضائل وتغضبوا ربكم : قال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يغضب إذا مدح الفاسق » ، فلا تلقبوا — بالسيادة — خائناً ، ولا مؤذياً ، ولا ظالما ولا غادراً ، ولاسباباً ، ولا نماماً ولا مغتاباً ولا لعاناً ، ولا بخيلا ، ولا كاذباً ولا سارقاً ، ولاخداعاً ، منافقاً ، مرائياً ، ولاغشاشاً ، ولامرابياً ، ولا مقامراً ، ولا من يشرب خمراً .

لاتلقبوا — بالسيادة — أحداً تعدى حدود الله ، وظلم نفسه بعصيان مولاه .

لقبوا بالسيادة أهل الاستقامة والكمال ، ولاتلقبوا بها أهل الاعوجاج والضلال ، لعلهم يسعون لها ، ويتوبون إلى الله ، ويتبعون الرسول ، ويهتدون بهداه — منتبهين لقول الله تبارك وتعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى(٢) إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف (٣) بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) .

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب

(٢) زلفى : أى تقربا

(٣) أى المثل إلى عشرة فما فوقها .

روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « لا تقولوا (١) للمنافق سيداً فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل » .

وروى الحاكم وقال : صحيح الإسناد أنه صلى الله عليه وسلم - قال : (إذا قال الرجل للمنافق : ياسيد - فقد أغضب ربه) .

(١) مثل كلمة السيادة — كل كلمة دالة على التعظيم . فكما لا تقال كلمة السيادة للمنافق — لا تقال أية كلمة دالة على التعظيم . ومثل المنافق كل فاسق وفاجر ومبتدع

١٨ — طريق العزة

الحمد لله : كتب العزة للمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يعز من اعتز بجنابه ، واعتصم بكتابه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أرفع الناس درجة ، وأهداهم سبيلا ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين اعتزوا بالعبودية لله ، وتأدبوا بآداب نبيهم واهتدوا بهداه ، فأعزهم سبحانه ، ومنحهم السعد والجاه .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

فى ذلك القول الكريم - بين الله سبحانه أن العزة - وهى الشرف والعظمة والقوة - له وحده ، وأن طريقها - الكلم الطيب ، والعمل الصالح .

فمن أراد العزة ، ومن أحب أن يكون عظيما ، شريفاً ، قوياً - أطاعه سبحانه وتعالى — بالكلم(١) الطيب : ينطق به لسانه - ابتغاء مرضاته جل شأنه ، وبالعمل الصالح ، يعمله اعزازاً بعبادته ، والخضوع لعظمته ، وتذللا لجنابه عز وعلا .

أيها المسلمون :

إنما العزة بيد من بيده اليسر العسر : والخير والشر ، والنفع

---

(١) خير الكلم الطيب القرآن الكريم ، وكلام رسولنا العظيم ، وما كان من الكلام ذكرا لله تعالى .

والضر ، والرفع والخفض ، والإدناء والإبعاد ، والإشقاء والإسعاد ، والموت والحياة (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو) .

فمن طلب العزة عند غير الله — ضل سواء السبيل ، وذل وهان ، وخسر خسراناً مبيناً .

اعتز المنافقون بالكافرين ، واتخذوهم أصدقاء ونصراء من دون المؤمنين ، فكانت عاقبتهم الذل والهوان ، والقهر والخسران والعذاب الأليم ، وصدق الله العظيم إذ قال : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) .

واعتز المؤمنون بالله ، فعمرت قلوبهم بالاخلاص له ، وعظمت أخلاقهم وكرمت آدابهم ، وذكروا الله كثيراً ، وبسطوا بالخير ألسنتهم وأيديهم ، وسعت في سبيل الحق أرجلهم ، فأعزهم الله ، ورفع قدرهم في الحياة ، وحواهم التاريخ في صحائفه المنتقاة ، وقد قال أحدهم - وهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه : « لقد كنا أذلاء في الجاهلية ، فأعزنا الله بالايمان به ، فمهما طلبنا العز من غيره أذلنا الله » والآخرة خير لمن اتقى » .

وإن من اعتز بالله فاتقاه — كان عزيزاً في غير كبرياء ويأبى الضيم ، ولا يرضى الظلم ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا تزعزعه الحوادث الجسام ، ولا تضعفه الكوارث العظام ، ويقابل الشدائد بصبر وثبات ، ويدفعها عن نفسه وأمته بحزم وقوة ، وشجاعة وإقدام ، مقتدياً بسيد الأعزاء عليه الصلاة والسلام ، فقد ثبت

صلى الله عليه وسلم فى موقفه فى غزوة حنين(١) ، حين ولى قومه مدبرين ، وهو يقول :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

ثم أمر عمه العباس ، فنادى القوم ، فرجعوا مجاهدين ، ومن الله بالنصر المبين .

عباد الله :

قال الله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) .

فبرهن على إيمانك بذلك القول الحق ، بخوفك ورجائك الله وحده ، فى قولك وعملك — يحفظك سبحانه وتعالى من الذل(٢) والهوان ، ويمنحك العزة فى الدنيا والآخرة (ولله العزة ولرسوله والمؤمنين) .

روى الخطيب البغدادى عن أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « أنا العزيز(٣) من أراد عز الدارين(٤) فليطع العزيز » .

---

(١) واد بين مكة والطائف .

(٢) قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن عن إذلال نفسه وإهانتها بتعريضها لأمور فوق طاقته ، فقال : (لاينبغى المؤمن أن يذل نفسه قالوا : وكيف يذل نفسه؟ قال : يتعرض من البلاء لمالا يطيق) رواه الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه

(٣) الغالب الذى لايغلب ، والذى يقهر ولا يقهر .

(٤) الدنيا والآخرة .

١٩ ــ الاخاء سبيل القوة

الحمد لله : ألف بين قلوب المؤمنين . وأشهد أن لا إله إلا الله : بالالفة والتآخى ــ أعز المسلمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى الإخاء والائتلاف ، وحذر من الفرقة والاختلاف ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين ألف الله بين قلوبهم بالإسلام ، فسعدوا بالمودة والوئام ، وعاشوا فى أمن وسلام .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

فى ذلك القول الكريم - يأمر الله تعالى بالتمسك بالقرآن وهو حبل الله المتين ، ودستور الإسلام وقانونه الذى فيه الخير كله ، وينهى عن التفرق ، وتناول أسباب الفرقة والاختلاف ويذكر بنعمته على قبيلتى الأوس والخزرج ، الأنصار ، أهل المدينة المنورة ، بالتأليف بين قلوبهم ، حتى أصبحوا - بعد العداوة - إخواناً متحابين متراحمين متناصحين ، وبذلك كان النجاح والفلاح والقوة .

عباد الله :

بالالفة والمؤاخاة - يكون النجاح وبلوغ الأمل وتذليل الصعاب فى الحياة ، وإنما تسعد الأمة وترتقى ، وتقوى وتتقدم ، وتبلغ غاية الشرف ، ونهاية المجد ، بائتلاف أفرادها ، وتآخيهم واتفاقهم على

جلب ماينفع ، ودفع مايضر ، وتطهير نفوسهم من الحقد والحسد حتى يكونوا – مع تباعد الأماكن ، واختلاف المساكن – كجسم واحد ، إن ألم منه عضو ألم له سائر الأعضاء ، ويكونوا آباء رحماء ، وأبناء بررة مهذبين أوفياء ، وبذلك يشملهم الله برحمته ويعمهم بفضله وإحسانه .

لهذا كان ائتلاف الأنصار وتآخيهم نعمة من الله ، أوجب عليهم شكرها ليديمها . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعد الهجرة من مكة إلى المدينة – بين أصحابه ، فجعل لكل مهاجر أخاً من الأنصار ، فتحابوا ، واتحدوا فى إعزاز دين الله ، وإعلاء كلمته جل علاه ، فأورثهم سبحانه وتعالى مشارق الأرض ومغاربها ، وما ادخر لهم فى الآخرة خير وأبقى ، وقال صلى الله عليه وسلم (١) : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » .

فعلامة الإيمان الحق – تحقق الأخوة بين المؤمنين ، وذلك بأن يواسى الغنى الفقير ، ويساعـــد القوى الضعيف ، ويعود السليم المريض ، ويقوى أمله فى الصحة والعافية ، ويحب الأخ لأخيه سعة فى المال ، وبركة فى العيال ، وعلو درجة ، وزوجاً صالحة ، وأولاداً بررة ، وجاها عريضاً ، وعلماً واسعاً . ورقيا فى العمل ، وبلوغ أمل ، وحسن حال . وراحة بال .

والأخ المؤمن — لايظلم أخاه ، ولايكذبه ، ولايخبره بغير الواقع ، ولايشهد عليه زورا ، ولايغشه ، ولايشترى على شرائه ،

---

(١) رواه البخارى مسلم

بعد استقرار الثمن والرضا به ، ولا يقدم لمشتر بضاعته ، ليشتريها ويرد بضاعة أخيه ، ولا يخطب امرأة خطبها أخوه حتى يتركها ، ولا يخون أخاه في نفسه وعرضه وماله وما هو حق له ، ولا يخذله ويترك نصرته ، ولا يحقره بإهانته ، وعدم المبالاة به ، ولا يحقد عليه ، ولا يضمر السوء له ، ولا يحسده على ما آتاه الله من فضله ، ولا يؤذيه بنوع ما من أنواع الأذى .

وعلامة الإيمان الحق - أن تتجلى آية الأخوة ، فينصح الأخ لأخيه ، ويقومه بالحكمة والموعظة الحسنة ، إن رآه سالكا طريق غي وضلال ، ويعينه إن رآه سالكاً طريق خير وهدى .

أيها المسلمون :

برهنوا على إيمانكم بتحقيق الأخوة بينكم ، وكونوا إخواناً متعاونين على الخير ، متحابين متضامنين ، يمنحكم الله القوة ، وهي حصن منيع ، وركن شديد ، وبهما يمنع الضيم والضر ، وتنال الرغائب ، وتنجح المقاصد .

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم : لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه وماله ودمه ، التقوى

ها هنا — ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؛ قال : إن(١) الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر(٢) الحق وغمط الناس) أى احتقارهم .

(١) أى فليس ذلك من الكبر .
(٢) أى رده على قائله .

٢٠ — الجهاد فى سبيل الله ينجى ويسعد

الحمد لله : يعطى المجاهدين أجراً عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) وأشهد أن لا إله إلا الله : ينصر من ينصر دينه ويجاهد فى سبيله (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، القدوة الحسنة فى الإقدام والجهاد ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فعاشوا سادة أعزاء (أولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (انفروا(١) خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) .

يأمرنا الله تبارك وتعالى — فى ذلك القول الكريم — بأن نسرع إلى القتال فى سبيله ، والجهاد ببذل النفس والمال لإعلاء كلمته ، خفافاً — لقلة عيالنا ، وثقالا — لكثرتها ، فلا ينبغى أن تكون كثرة العيال مثبطة عن القتال فى سبيل الحق ، أو معوقة

---

(١) أسرعوا .

عن الجهاد فى سبيل وطن الإسلام ، الذى تعلو به كلمة العزيز العلام ، فى هذا القتال ، وذلك الجهاد — الحياة الطيبة ، والهناء والأمان وذلك خير عظيم .

أيها المسلمون .

علم الله أن القتال ضرورى ، لصد عدوان المبطلين ، ودفع ظلم المعتدين ، ونصرة الحق والفضيلة . ، فدعا إليه ، جاءت حكمته : إن الظالمين من جبابرة الأمم — يستعمرون الأوطان ، فيتمتعون بخيراتها ، وينتفعون بحاصلاتها ويتصرفون كما يشاءون فى مواردها ، ويضعفون جيشها ، وينشرون الفرقة بين صفوف أهلها ، ويعملون على شيوع الفاحشة فى نواحيها ، ونشر الفوضى فى ربوعها ، وضعف الوازع الدينى فى قلوب بنيها ، وبذلك ينتشر الجهل والفقر والمرض بين أفرادها ، وفى ذلك الخراب والهلاك ، فصونوا أوطانكم من ظلمهم ، وجاهدوهم لحماية دينكم ، والسلامة من عبثهم وإساءتهم وقاتلوهم لتبقى أوطانكم لكم ، ولا ترهبوا الموت فهو سبيل حياتكم الكريمة ، ومن قتل ، وهو يقاتل أولئك البغاة الطغاة — مات شهيداً ، فقد سمع سعيد بن زيد(١) رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(٢) « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) ، وقال تعالى فى مزية

(١) أحد من بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

الشهداء وفضلهم : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) .

أيها المسلمون :

عيشوا أحراراً أو موتوا كراماً ، ولا تقبلوا الظلم ، ولا ترضوا الذل والضيم ، ودافعوا عن بلادكم ، واذكروا أن الإنسان لا يموت إلا مرة ، وأن الموت أحلى من حياة مرة .

لا ترهبوا جانب العدو ، ولا تبالوا بسطوته ، ولا تفزعوا من عدده وعدته ، ولا تخشوا بأسه وشدته ، واذكروا حقكم وقوته ، وتسلحوا بملازمة طاعة الله (والله أشد بأساً وأشد تنكيلا)(١) .

إن لله جنوداً لا تغلب ، وجيوشاً لا تقهر ، وأساطيل لا تكسر : يمد بها من كان معه ، وراقبه واتقاه ، وتوكل عليه لنيل مناه ، أذكروا ذلك فى كل وقت ، واذكروا يوم اجتماع الأحزاب من المشركين واليهود على النبى وأصحابه بالمدينة ، وأنه سبحانه فى ذلك اليوم ـ صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وقال فى القرآن الكريم : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) .

---

(١) تعذيبا .

أيها المسلمون :

تحت لواء الإيمان ومع طاعة الواحد الديان ، وأنتم راغبون فى النصر على أعدائكم أهل العدوان — ابذلوا من مالكم فى سبيل تسليحكم واستعدادكم لمقاومتهم ، واتحدوا جميعاً لقتالهم تسعدوا ، واعلموا أن ميدان الجهاد ساحة الشرف ، وأن جهاد العدو تجارة رابحة ، تنجى من الذل والهوان والهم والكرب العظيم ، والعذاب الأليم ، وتؤهل لرضوان من الله ونعيم مقيم ، وتضمن للمجاهدين فتحاً قريبا ، ونصراً مبينا (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين) .

روى أحمد والطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « جاهدوا فى سبيل الله فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم » .

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وجبت له الجنة ، فعجب لها أبو سعيد ، فقال : أعدها يا رسول الله فأعادها عليه ، ثم قال : وأخرى يرفع الله

بها العبد مائة درجة فى الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض
قال (١) : وما هى يارسول الله ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، الجهاد فى
سبيل الله » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله ،
والمكاتب (٢) الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف) .

(١) أى أبو سعيد .
(٢) هو العبد يكاتب سيده ويعاهده على مبلغ من المال — يكون العبد بعد
تأديته لسيده حرا .

٢١ — مكانة الشهداء وثوابهم

الحمد لله : رفع قدر الشهداء ، وأجزل لهم الجزاء . وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل الموت فى سبيله أطيب حياة . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، بين أن الشهادة — عظيمة الأجر والجاه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه . الذين جادوا بأنفسهم فى سبيل الله . ففازوا برضاه .

أما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لما أصيب إخوانكم بأحد (١) — جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر . ترد أنهار الجنة . وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم — قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة : نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا (٢) عن الحرب ، فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)(٣) .

---

(١) أى بوقعة أحد ، وأحد جبل بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم من جهة الشام ، وكان به تلك الوقعة المعروفة بغزوة أحد فى أوائل شوال سنة ثلاث من الهجرة .

(٢) أى يجبنوا ويتأخروا .

(٣) روى هذا الحديث أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

أيها المسلمون :

يخرج المؤمن من بيته ، مفارقاً أهله ، وباذلا نفسه وماله ، لقتال أعداء الإنسانية الكفرة الفجرة ، الذين يصدون عن الإسلام ، ويسعون ليحرم نوره الانام ، فلا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، لأن غايته غالية ، وهدفه أسمى الأهداف : إنه يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وراية الإسلام هى الخفاقة فى العالمين ، فما قدر روحه وماقدر ماله فى سبيل ذلك الحق المبين ، وما أعظم ربح المؤمن وما أسعده ، ببيعه روحه وماله ، للرازق الخالق المالك ذى القوة المتين ، الذى جعل ثمنهما الجنة ، دار السلام والهناء والبقاء ، عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

إن للإنسان أجلا لايتجاوزه ولا يعدوه ، فما أعزه إذا جاء أجله ، وهو يجاهد فى سبيل الله : إنه يمنح الشهادة ، وما أدراك ما هى ؟ : ليست إجازة دراسية عليا ، لعليا المراتب فى الدنيا ، ولكنها عنوان الدرجة العلية ، عند رب البرية ، التى بين حقوقها وامتيازاتها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال (١) : « إن للشهيد

---

(١) رواه أحمد والطبرانى وإسناد أحمد حسن .

عند الله سبع خصال : أن يغفر له فى أول دفعة(١) من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه » .

ومن المجاهدين فى سبيل الله من يحصل على الشهادة بامتياز . قال(٢) الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفر بن أبى طالب ملكا يطير فى الجنة ذا جناحين : يطير منها حيث شاء ، مضرجة(٣) قوادمه بالدماء » . وقال صلوات الله وسلامه عليه — لعبد الله ابن جعفر رضى الله عنهما(٤) : « هنيئاً لك يا عبد الله ، أبوك يطير مع الملائكة فى السماء » .

كان جعفر رضى الله عنه قد ذهبت يداه فى سبيل الله ، يوم

---

(١) بضم الدال ، وهى ما دفع فانصب بمرة واحدة ، وكذلك الدفعة من المطر وغيره ، وجاء القوم دفعة واحدة بالضم إذا دخلوا بمرة واحدة ، وأما الدفعة بفتح الدال فهى المرة الواحدة من الدفع أى الإزالة بقوة ، ولا يصلح هذا المعنى هنا .

(٢) رواه الطبرانى باسنادين أحدهما حسن .

(٣) أى ملطخة قوادمه بالدماء ، والقوادم : مقاديم ريش الطير ، وهى ريشات تظهر فى أول الجناح ، الواحدة قادمة ، وهى عشر فى كل جناح ، والريشات التى دونها تسمى الخوافى .

(٤) رواه الطبرانى باسناد حسن .

موته فى وقعة مؤتة(١) ، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما فمن أجل ذلك — سمى جعفراً الطيار .

أيها المسلمون .

إن من حرص على الشهادة فى سبيل الله — كان شجاعا مقداماً ، تهر أمامه الأبطال ، فتوهب له الحياة ، وإذا فاتته حياة الدنيا القصيرة الفانية — أقبلت عليه فى دار السلام والنعيم — الحياة الباقية . فاحرصوا على تلك الشهادة — يعز الله أوطانكم بكم ، ويمكن لكم دينكم ، ويمنحكم « السعادة والسيادة » (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .

روى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شىء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » وفى رواية « لما يرى من فضل الشهادة » .

وروى أحمد وأبو يعلى عن نعيم بن همار رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الشهداء أفضل؟ قال : « الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون(٢) وجوههم حتى يقتلوا

---

(١) مؤتة قرية من أرض البلقاء بطرف الشام الذى يخرج منه أهله إلى الحجاز وبها كانت الوقعة التى قتل فيها جعفر رضى الله عنه .

(٢) برفع المضارع ، وجملة لا يلفتون : خبر لمبتدأ محذوف تقديره مع الفاء التى تربط الجواب بالشرط : فهم

أولئك ينطلقون فى الغرف العلاء من الجنة ، ويضحك (١) إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة »(٢) .

وروى مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك : رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من طلب الشهادة صادقاً — أعطيها ولو لم تصبه) .

وروى مسلم أيضا عن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

---

(١) ضحكه سبحانه : كناية عن غاية رضاه .

(٢) أى قرصة نحو النملة من كل مؤلم ألما خفيفا سريع الانقضاء ، لا يعقب علة ولا سقما ، فألم القتل على الشهيد سهل .

٢٢ — الاقتصاد يكفل طيب المعيشة

الحمد لله : أرشد الخلق إلى الاقتصاد ، ليحيوا حياة طيبة . وأشهد أن لا إله إلا الله : من اتبع هداه — فاز بحسن العاقبة . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، دعا إلى التوسط فى النفقة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن سلك طريق الفضيلة والاعتدال .

أما بعد فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن البخل والتبذير داعياً إلى الاقتصاد ، والوقوف عند حد الوسط فى الإنفاق فقال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) أى فتصير ملوماً عند الله والناس ، محسوراً ، منقطعاً عن المقاصد والمطالب ، بما جلبته على نفسك من الفقر ، بالإسراف وسوء التدبير .

أيها المسلمون :

إن الله جعل المال قوام الحياة ، وأساس العمران فهو خير عون لصاحبه ، للحصول على مطالبه ، وأقوى عامل على التقدم والمدنية ، والحضارة والرفاهية ، والمنارة والسعادة والعزة ، وهو دعامة لابد منها فى سبيل الإصلاح ، والأعمال الخيرية التى بها تعز الأمة ، ويسعد المجتمع ، ويعيش الفرد كريماً .

وقد قيل لحكيم : لم تجمع المال وأنت حكيم ؟ قال : لأصون به

العرض ، وأؤدى به الفرض ، وأستغنى عن القرض .

فمن كسب المال من حلال ، ليصون به عرضه ، ويحفظ كرامته ويربى به ذريته تربية صالحة ، وينفق منه على أهله ، ويصل ذوى قرابته ويواسى به الفقراء والبائسين ، ويحسن منه إلى الجيران والأرامل والايتام ، ويساهم فى أعمال البر ، ويستمتع بما أباحه الله له من الحلال الطيب ، من غير إسراف ولا تبذير - فهو العاقل الرشيد الموفق السعيد ، الذى يسعى لخير نفسه وأهله وأمته ، ومن صرف المال فى غير حاجة ، وبعثره فى سبيل الشهوات واللذات — فقد أسرف وبذر ، وأصيب بالسقوط فى مهاوى الذل والهوان ، ومن بخل بالمال عن النفس والأهل ، ولم يصرف منه فى الواجبات — كان شحيحاً ، عديم المروءة والشهامة ، وتعرض للمضار ، واستوجب الذم والعار .

لذلك دعا الدين إلى الاقتصاد والاعتدال ، بالإنفاق بين الإسراف والتقتير ، وبذل المال حيث يجب البذل ، والإمساك حيث يجب الإمساك : روى أن عبد الملك بن مروان - قال - لعمر بن عبد العزيز ، حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك ؟ فقال له عمر : (الحسنة بين السيئتين) ثم تلا قوله تعالى : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) . وفى معنى هذه الآية — قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : (هم المؤمنون لا يسرفون

فينفقوا فى معصية الله ولا يقترون فيمنعوا حقوق الله) .

فمن اتبع الدين واقتصد - لم يسرف المال فى مسكر أو مخدر أو ميسر ، ولا فى معصية من المعاصى

ومن اتبع الدين واقتصد - لم ينفق المال رياء وافتخاراً فى الأفراح والمآتم ، وبذلك يسلم من هم الدين وذله ، ولا تكون الأفراج أتراحاً ، ولا يجمع فى المأتم بين فقد العزيزين ، الأهل والمال .

ومن اتقى الله فى ماله واقتصد - صرفه على نفسه وأولاده وأهله وفى سبيل الله ، ولم يصرفه على المقاهى والملاهى ، ولم يصرفه فى سبيل القضايا ، وفضل الصلح على الخصام ، ولم يدفع الرشوة إلى الحكام لنصره وخذلان خصمه .

أيها المسلم :

إن المعيشة تطيب بكسب المال والاقتصاد فى إنفاقه ، فاحرص عليهما (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً) .

روى البيهقى والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الاقتصاد نصف(١) المعيشة » .

وروى البزار عن طلحة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله » .

---

(٢) ذلك لأن الاقتصاد أحد الأمرين اللذين تقوم بهما المعيشة وتطيب والآخر كسب المال كما هو مبين فى الخطبة .

٢٣ — الصبر سبيل النجاح والفلاح

الحمد لله : أعز من صبر ، وأحسن له المآب ، وأشهد أن لا إله إلا الله : للصابرين عنده حسن الثواب ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من صبر ، ورضى بالقضاء والقدر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين نالوا بالصبر الحق ، وكانوا ملء القلب والسمع والبصر (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

المعنى : يا أيها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات ، وعلى ما يصيبكم من الشدائد ، وعن عصيان الله ، وغالبوا أعداءه تعالى بالصبر على المكاره ، ورابطوا بالثغور وسواحل بلادكم وحدودها لحمايتها من غزو الأعداء ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

أيها المسلمون :

الصبر فضيلة ، يحتاج إليها الإنسان في دينه ودنياه ، وبها يحقق أعماله وآماله في الحياة .

فبالصبر يطيع العبد ربه ، ويداوم على طاعته ، ويحسن العشرة والمعاملة ، ويعفو ويصفح ، ويتق النار ، ويجتنب المعاصى والمنكرات ، ويقاوم المغريات ، ويتعفف عن الشهوات ، ويقبل على المكاره ، ويتجه بعزم إلى مايرضى الله ، راغباً فى الجنة وحسن العاقبة ، مستهيناً بما يجد فى سبيله من مشقة وألم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ، والدنيا مملوءة بأنواع البلاء ، والمشقات والمصاعب والأمراض والآلام ، والصبر هو الذى يهون تلك الأنواع ، ويقى عند وقوعها من القنوط والجزع ، ويحفظ من الانتحار ، الذى هو شر وخسار ، ووزر وعار ، فليتصبر من فقد و[illegible] موقناً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : « يقول الله عز وجل: (مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » ، وليستعن المريض بالصبر ، مؤمناً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) : « ما يصيب المسلم من نصب(٤) ، ولا وصب(٥) ، ولا هم(٦) ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » ، وكيف لا يصبر المسلم ، وهو مؤمن

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) تعب . (٥) مرض .
(٦) الهم على المستقبل والحزن على الماضى ، والأذى هو كل مالا يلائم النفس ، والغم حزن يشتد بمن قام به حتى يصير بحيث يغمى عليه .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض» ، وما أسعد المؤمن بالصبر(٢) «والصبر ضياء» ، فهو له كالمصباح : ينير السبيل ، وتتهيأ به له الوسيلة لبلوغ المأمول :

وقل من جد في أمر يؤمله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «خير عيش أدركناه بالصبر» .

الا إن الصبر يعين الصانع على إتقان مايصنع ، والزارع على العناية بما يزرع ، وكل عامل على إحسان عمله ، وفى ذلك النجاح والفلاح ، والأجر العظيم (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

أيها المسلمون :

ابتلى الله رسله وأحباءه فصبروا ، فأفلحوا وانتصروا ، فاتبعوا سبيلهم واصبروا ، طالبين لله ، بعيدين عن معصية الله ، محتملين للمكاره ، وأعباء الحياة ، مجاهدين لأعداء الله ، «ومن(٣) يتصبر(٤) يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» .

روى مسلم عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال :

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) جزء من حديث نبوى شريف رواه مسلم .
(٣) جزء من حديث نبوى شريف رواه البخارى ومسلم .
(٤) يتكلف الصبر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط ، عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل - ابتلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل .

وروى رزين العبدرى ، عن جعفر بن أبى طالب . رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصبر معول المسلم » .

٢٤ ـ الحث على الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر

الحمد لله : يحب الصلاح ، ويبغض الفساد ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أمر بالأمر بالمعروف(١) والنهى عن المنكر لخير العباد ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير هاد ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد فقد أثنى الله تعالى على الأمة الإسلامية فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

عباد الله :

كانت الأمة الإسلامية ـ جديرة بهذا الثناء ، فى أول أمرها ، وقت أن كانت متمسكة بدينها ، وكان الإسلام يرى بحسنه فى أعمالها ومعاملاتها وأخلاقها ، وكان من طيب حياتها حينئذ أن عمر رضى

---

(١) المعروف هو ما يرضاه الشرع ، وتقبله العقول السليمة : من العقائد والأقوال : كالإيمان بالله ، وقول الحق ، وفعل الخير : من صلة الأقرباء ، وبر الفقراء ، وهداية الضال وتعليم الجاهل وعلاج المريض ونحو ذلك ، والمنكر هو ما يستقبحه الشرع ، ولا تقبله العقول السليمة : كتعظيم غير الله بما لا يصح إلا لله مثل السجود ، وكالتشاؤم والغش ونحو ذلك : من العقائد الفاسدة والأقوال الآثمة والأفعال المحرمة .

الله عنه بعد إسناد قضاء المدينة إليه ، فى عهد أبى بكر رضى الله عنه مكث سنة كاملة ، لم ترفع فيها إليه قضية ، فطلب إعفاءه من وظيفته فسأله أبو بكر عن السبب ، فقال : « إن قوماً يوقر صغيرهم كبيرهم ويرحم كبيرهم صغيرهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ينصفون أعداءهم من أنفسهم ، القوى عندهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف عندهم قوى حتى يؤخذ الحق له ، إذا مرض أحدهم عادوه ، وإذا مات شيعوه واتبعوه ، قوم هذا شأنهم ، لا حاجة لهم بقضاء عمر » .

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — يحييان الفضيلة ويميتان الرذيلة ، ويقيمان الصلاح ، ويهدمان الفساد ، فتسعد الأمة ، ويسود بينها الأمن ، ويعمها الخير ، وتحيا حياة العزة والكرامة ، فى حسن حال ، وراحة بال .

أيها المسلمون :

قل بيننا العدل ، والوفاء ، والأمانة ، والصدق ، والحلم ، والكرم ، والإحسان ، والحياء ، والرحمة ، وغير ذلك من أنواع المعروف ، وكثر فينا الظلم ، والغدر ، ونقض العهد ، والخيانة ، والكذب ، والغضب ، والبخل ، والإساءة ، والوقاحة ، والقسوة ، والزنا ، والربا ، والتبرج ، وتقليد الأجانب فيما أبعد عن الإسلام ، ونقص المكيال والميزان ، وترك الصلاة ، ومنع الزكاة ، والإفطار فى رمضان ، وامتناع الأغنياء الأصحاء عن الحج ، وهجر الكتاب والسنة وغير ذلك من المنكرات ، فقلت بيننا البركات ، وكثرت فينا البليات وحل

بنا ما أنذر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه : قال (١) ابن عمر رضى الله عنهما : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا ابتليتم بهن — أى حل بكم الهلاك والدمار ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين (٢) وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر (٣) من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

ولا سبيل لإصلاح الحال ، والتخلص من الوبال ، وجعل أمتنا الإسلامية أهلا لثناء الله فى الحال والاستقبال ، إلا باتباع سلفنا الصالح ، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ، ونصحنا — بالرفق واللين — لإخواننا وأهلينا وجيراننا ومواطنينا ، ودعوتهم — بالحكمة والموعظة الحسنة — ليبتعدوا عن الإثم والعدوان ، والإساءة والعصيان ، ويقبلوا على طاعة الرحمن (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) جمع سنة وهى عام القحط والمجاعة ، الذى لم تنبت الأرض فيه شيئا سواء نزل مطر أو لم ينزل .

(٣) المطر .

أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة يؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم).

وليكن الآمر بالمعروف أول فاعل له ، والناهى عن المنكر أول تارك له ، فالانسان يرشد بفعله أكثر من إرشاده بقوله ، ومن خالف فعله قوله — رد قوله وأهمل ، وقد قال الله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتاً(١) عند الله أن تقولوا مالا تفعلون).

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واسعوا لعزكم وسعادتكم ، وسلامتكم وسيادتكم بفعل المعروف والأمر به ، واجتناب المنكر والنهى عنه (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

روى الترمذى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده(٢) لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

---

(١) المقت : أشد البغض عن أمر قبيح .
(٢) بقدرته .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه والبزار عن أبى ذر رضى الله عنه — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة » .

وروى الترمذى عن ابن عباس : رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » .

٢٥ — الحث على الاتعاظ بالزمن والانتفاع به

الحمد لله العليم الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل فى تعاقب الأوقات عبرة لليقظ البصير ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : دعا إلى اغتنام زمن الحياة بإرضاء الله العلى القدير ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين أنفقوا أعمارهم فى أداء الواجب ، والعمل الصالح (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (والعصر) : فى ذلك القول الكريم — يقسم سبحانه وتعالى بالعصر أى الزمان ، تفخيما لشأنه ، وإرشاداً لنا إلى قيمته ، والاتعاظ والانتفاع به ، ففيه تقع الحسنات والسيئات ، والمعاصى والطاعات ، وما وقع مسجل ، يراه الإنسان يوم العرض على الله عز وجل .

والزمان مملوء بالحوادث والوقائع الحافلة بالعبر والعظات : فيها يرى المتأملون أن الله تعالى — أذل أمماً كانت عزيزة ، ورفع أخرى كانت ذليلة ، وأنه تعالى — أكرم الصالحين وأهان الطالحين الآثمين ، وأعز العادلين ، وأذل الظالمين ، ورفع قدر المصلحين ، وخفض المفسدين ، وأن التمادى فى البغى والعدوان ، والانصراف إلى الشهوات الشخصية ، وترك المصالح العمومية — مستوجب عذاب الله ، وأن الأمم الضعيفة إذا تسلحت بالعلم والعمل ، وهجرت

البطالة والكسل وعنيت بالتدريب العسكرى ، واستعدت لملاقاة العدو ، وأخذت بأسباب الحياة — بدلها الله من ضعفها قوة ، ومن الفقر غنى ، ومنحها علواً ومجداً .

أيها المسلمون :

هل انتبهتم لقيمة الزمان ، وأنه تحصى عليكم أعمالكم فيه فاستقمتم ، واتعظتم بحوادثه الماضية والحاضرة فاتعظتم واهتديتم ، وبرهنتم على إيمانكم بأن الله لم يخلقكم عبثاً ،ولم يتركـكم سدى، وأنه تعالى — خلقكم لتعبدوه وكلفكم أن تطيعوه ووعدكم على العبادة والطاعة خيراً ، وعلى العصيان والإهمال شراً (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ، وهل استيقظتم إلى ، أن الزمن لا يصنع بالناس خيراً ولا شراً ، مما يفرح الناس به ، أو يحزنون له ، وإنما يسوق ذلك رب الزمان والمكان ، الذى قال ، فى القرآن (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة(١) وإلينا ترجعون) ، هل استيقظتم لتلك الحقيقة ، فكففتم ألسنتكم عن سب الزمان وشكواه ، وقد قال(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سبحانه وتعالى : « يؤذينى ابن آدم يسب الدهر أى الزمان ، وأنا الدهر

---

(١) امتحانا .

(٢) رواه البخارى وغيره .

— أى خالقه(١) بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار » .

انظروا — عباد الله — فى حوادث الزمان واعتبروا ، ولا تمروا عليها وأنتم عنها معرضون ، لتنتبهوا لخيركم فى المستقبل ، وتعملوا صالحاً قبل أن يقضى الأجل ، ويحال بينكم وبين العمل ، الذى يسألكم عنه الله عز وجل .

أيها المؤمن :

زمن حياتك — ثمين وقصير ، فلا تضيعه فى المقاهى والملاهى وغير مفيد ، لا تضيعه فى لهو الحديث ولغوه ، ونقد الناس والطعن فى أعراضهم ، ولا فى الجدل ، واستمراء مرعى الشهوات ، وغير المباح من اللذات ، وما إلى ذلك مما يعقب الحسرات فى الدنيا والآخرة ، واغتنم وقت فراغك قبل المعوقات ، واعلم أن وقت الفراغ نعمة(٢) فاشكر للمنعم جل شأنه ، واشتغل فيه بعمل الصالحات ، وعلم القراءة والكتابة الأميين ، وأصلح المتخاصمين ، واسع فى كل ما يعود بالخير على نفسك وأهلك وجيرانك ووطنك وقومك والناس أجمعين (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد) .

اعمر وقتك(٣) — ياعبد الله — بما يسرك فى القيامة أن تراه ،

---

(١) وخالق ما يقع فيه أيضاً .

(٢) روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، والصحة والفراغ » ، ومغبون أى منقوص الذكاء ضعيف الرأى .

(٣) الوقت : مقدار من الزمان مفروض لأمر ما ، كالمولد والحياة والوفاة

واعلم أنه لا ينفعك الندم ، ولا يشفع لك اللوم ، ولا يفيدك التألم ، يوم الحساب ، وقد أضعت عمرك فى الإهمال والتقصير ، أو الذنوب والأوزار . قال الفضيل لرجل : كم سنة أتت عليك ؟ قال : ستون سنة ، قال : فأنت تسير إلى ربك منذ ستين سنة ، يوشك أن تبلغ ، فقال الرجل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) . قال الفضيل : أتعرف تفسيره ؟ فمن عرف أنه لله عبد ، وأنه إليه راجع — فليعلم أنه موقوف ، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً ، قال الرجل : فما الحيلة ؟ قال يسيرة ، قال : وما هى ؟ قال : تحسن فيما بقى : يغفر لك ما مضى ، فإنك إذا أسأت فيما بقى أخذت بما مضى وما بقى .

أيها المسلم :

اتق الله وتب إليه ، واملأ وقتك بجلائل الأعمال ، واصرف ما بقى من عمرك فى فعل الخير وشريف الخصال ، واتعظ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) « اغتنم خمساً قبل خمس ، حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك(٢) وغناك قبل فقرك » . وأبشر إذا عملت بذلك النصح بدنيا سعيدة ، وأخرى حميدة : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

---

(١) رواه الحاكم .
(٢) كبر سنك .

روى الطبرانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » .

وروى الترمذى عن أبى برزة : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .

٢٦ — التحذير من الرشوة

الحمد لله : أحب المخلصين ذوى الامانة والعفة ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أكرم من قنع بالحلال وشرفه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير الخلق مقاما ، لعن الراشى(١) والمرتشى والساعى بينهما ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين طهر مجتمعهم من الرشوة ، وكان الحق بينهم ظاهر القوة ، ففازوا فى الحياة بعظيم الاحترام ، ونالوا من الله حسن الجزاء ومزيد الاكرام .

أما بعد فقد قال الله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) .

عباد الله :

فى الآية الكريمة — ينهاكم الله جل شأنه عن أن يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ، وعن دفع الأموال إلى الحكام ليمكنوكم من اغتيال قسم من أموال الناس ، وتسمى الأموال التى تدفع إلى الحكام — رشوة .

أيها المسلمون :

يطمع الشخص فى حق غيره ، فيدفع شيئا للحاكم أو غيره ممن

---

(١) روى الإمام أحمد وغيره عن ثوبان رضى الله عنه قال: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى » والرائش يعنى الذى يمشى بينهما

يقدر على نصره ، ليحكم له أو يحمله على ما يريد ، وقد يسعى بينهما سفير ، لعدم تعارفهما ، ويسمى الدافع راشياً ، والآخذ مرتشيا ، والسفير الذى يسعى بينهما رائشاً ، وكلهم متعاونون على إثم الرشوة ، وإنه لعدوان ، يستحقون به عقاب الواحد الديان ، والحرمان من رحمته وثوابه ، وفضله وإحسانه .

وإذا كانت النفوس قد جبلت على حب من أحسن إليها — فلا عجب أن يعمل المرتشى جاهداً لإنجاز مصلحة الراشى ، فيحتال على القانون ليجد سبيلا لتحقيقها ، وإضاعة الحق على صاحبه ، غير مبال بتعطيل القانون وعدم العمل به ، وإنه بذلك يعمل على إشاعة الفوضى فى الامة ، وإتعاب أفرادها ، وإخافتهم على حقوقهم ومصالحهم ، وما وضع القانون إلا لراحة الناس ، وطمأنينتهم على الحقوق والمصالح ، وعيشهم هادئين آمنين فى ظل نظامه الظليل ، وإذا عطل ، وحرموا ذلك الخير كله ، آل أمرهم إلى الخسران والهلاك ، ومن هنا كانت الرشوة مضرة للفرد والجماعة ، وجناية على الامة ، وكبيرة نهى عنها الإسلام ، وأنذر مرتكبها باللعنة والإبعاد عن رحمة الرحيم العلام .

ألا إن الرشوة — رذيلة تدل على دناءة النفس ، وسقوط الهمة ، وعدم المروءة ، وهى شهادة صريحة على الجبن والضعف والخيانة ، وخراب الذمة ، وموت الضمير ، ودليل على أن الفرد لا يعمل للمجتمع ، ولا يهمه شأنه ، ولا يعرف واجب أمته عليه ، وكفى الرشوة قبحاً أنه يتعذر بها وصول الحق إلى صاحبه ، ويفوز المبطل

بباطله ، ومن هنا تملأ الأحقاد النفوس ، ولا يثق بعض الناس ببعض ، وينتشر بينهم العدوان ، وتنعدم بينهم المحبة ، وتسود بينهم العداوة والبغضاء وتكون غايتهم الذل والخسران (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

أيها المسلمون :

تنزهوا عن الرشوة ، ولا تعودوا بها من بيدهم إنجاز الأعمال على مخالفة الحق ، والجشع والطمع ، ولا تفسدوا أنفسكم وتخربوا ذمتكم ، وتبيعوا ضمائركم بقبولها ، فأنجزوا الأعمال لله ، واطلبوا إنجازها فى حدود الحق والعدل — تسعدوا فى الدنيا والآخرة (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) .

روى الطبرانى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الراشى والمرتشى فى النار » .

وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لعنة الله على الراشى والمرتشى » .

٢٧ — القضية أمام محكمة الآخرة حرية بالعناية بها

الحمد لله الملك القادر ، المطلع على القلوب والضمائر ، وأشهد أن لا إله إلا الله : (رفيع الدرجات ذو العرش(١) يلقى الروح(٢) من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق(٣) . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعلم الخلق بالله ، وأشدهم خشية لله جل علاه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين عملوا ليوم الدين (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر(٤) كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير) .

فى هذه الآيات الكريمة — يقول الله جل شأنه لنبيه صلى الله

---

(١) العرش فى اللغة : سرير الملك ، والمراد به فى الدين خلق عظيم محيط بالعالم كله ، من قبله ينزل التدبير والتقدير من لدن المالك الحكيم .

(٢) الوحى .

(٣) يوم القيامة ، ففيه تتلاق الأرواح والأجساد ، وأهل السماء والأرض .

(٤) جمع حنجرة وهى الحلقوم .

عليه وسلم (وأنذرهم يوم الآزفة)(١) أى خوف الناس عذاب يوم القيامة ، وبين سبحانه وتعالى أن القلوب فى يوم القيامة ترتفع من أماكنها ، حتى تلحق بالحناجر من شدة الهول ، وتمسك على الغم الممتلئة به ، من غير إظهار له ، وبين أن الظالمين ، فى ذلك اليوم — ليس لهم قريب شفيق يعطف عليهم ، ولا شفيع تقبل شفاعته لهم ، وأنه تعالى يعلم النظرات الخائنة ، وما تخفى صدور الخلق ، وهو سبحانه يقضى بالحق ، والذين يعبدونهم من دونه لا يقضون بشىء إن الله هو السميع البصير .

أيها المسلمون :

إذا جاء أحدكم محضر بإعلان ، فيه إنذاره بالحضور إلى المحكمة لسماع دعوى مرفوعة عليه ، فماذا يكون منه ؟

لاشك أنه يهتم بالدعوى سراً وجهاراً ، ويفكر فيها ليلا ونهاراً ، ويسأل المجربين للقضايا ، ويبحث عن المحامى البارع ، الذى يدافع عنه الدفاع النافع ، لأنه يريد كسب القضية ، وانتهاءها بسلام عليه ، لاتبعة ولا مسئولية ، مع أن غاية خسرانها — قد تكون غرامة مالية ، أو سجناً أياماً معدودة . . . ومع أن القاضى الذى يحكم فيها بشر : لا يملك لنفسه جلب نفع ولا دفع ضرر ، قلبه بيد الله : يصرفه كيف يشاء .

ولقد جاءكم رسول عظيم ، بإعلان ليس من صنع البشر :

---

(١) سمى يوم القيامة بيوم الآزفة لأزوفه أى قربه .

(إنه لقرآن كريم) (من لدن(١) حكيم عليم) : فيه إنذار الناس بالحضور أمام المحكمة العليا ، التي قاضيها العزيز القهار ، أحكم الحاكمين ، في يوم لا كأيام الدنيا ، التي قد يتيسر فيها المتهم من يواسيه ، ويطمئنه ويسليه .

(هذا يوم الفصل(٢)) (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه . وصاحبته(٣) وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) .

في ذلك اليوم العسير — يحضر الناس بين يدي الله ليسمعوا الدعوى ، مرفوعة عليهم من كل من آذوه وظلموه ، أو هتكوا عرضه أو سفكوا دمه ، أو أكلوا ماله ، أو أضاعوا حقه . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (٤) « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه — أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » بل يسمع الناس الدعوى مرفوعة عليهم من القاضي نفسه العلي الحكم ، من أجل ترك الصلاة : أو تأخيرها عن وقتها ، أو عدم مراعاة آدابها ، ومن أجل منع الزكاة ، وترك الصيام والحج ،

---

(١) من عند (٢) يوم الحكم (٣) زوجته .

(٤) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرن من المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس . . » إلى آخر الحديث المذكور .

واجتناب المعروف والحلال ، وارتكاب المنكر والحرام ، ويسمعون الدعوى مرفوعة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لترك سنته ومخالفة هديه ، وعدم اتباع القرآن — معجزته وحجته . (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) .

وبعد سماع الدعاوى — يحكم الله ، وحكمه مبرم ، لانقض له ولا استئناف : به يذوق العاصي الآثم العذاب الأليم ، ويفوز المطيع الكريم بجنات النعيم ، ومع هذا الحق الواضح الذى لاريب فيه فيه . بيننا الطاعات مهملة ضائعة ، والمعاصى مستمرأة ذائعة ، وذلك دليل على عدم المبالاة بالقضية الكبرى (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) .

فلماذا — يا قوم — لم تهتموا بقضيتكم أمام الله — اهتمامكم بقضيتكم أمام عبد من عباد الله .

إذا كنتم معتمدين على شفاعة الشافعين — فلا شفاعة للظالمين .

وقال جل شأنه : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ، فهل تيقنتم بإذن الله فى الشفاعة لكم ، مع ظلمكم لأنفسكم بعصيانكم ، وقد قال(١) الرسول صلى الله عليه وسلم « يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً . ياصفية عمة رسول الله لا أغنى عنك

---

(١) فى الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقال : « يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لاأغنى عنكم من الله شيئاً يابنى عبد مناف لاأغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس .. » إلى آخر الحديث المذكور .

من الله شيئاً . يافاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً) ، وإذا كان اعتمادكم على محام يدافع عنكم — فيوم القيامة كل بنفسه مشغول ، والله تعالى يقول : (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون) وإنكار المتهمين لايفيد يوم الوعيد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم(١) الحق ويعلمون أن الله هو الحق(٢) المبين) ، وإلقاء المسئولية على الشيطان لايفيد الإنسان (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان(٣) إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم(٤) وما أنتم بمصرخى(٥) إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) .

عباد الله :

اتهموا لقضيتكم أمام ربكم ، واعلموا أن الموت يفاجئكم ، فلا يأتيكم بوعده المحدد رسول ولا رسالة ، وبعده يجد الإنسان أعماله : تبلغه آماله ، أو آلامه وأهواله ، فتوبوا اليوم وقولوا قولا سديداً ، واعملوا صالحاً — لتفوزوا فى غدكم يحكم الله بالثواب ، والسلامة من العقاب (والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب).

---

(١) جزاءهم المستحق .
(٢) الثابت بذاته ، الظاهر بدلائل ألوهيته .
(٣) قوة (٤) بمغيثكم (٥) بمغيثى

روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق(١) تمرة ولو بكلمة(٢) طيبة » .

وروى مسلم فى صحيحه ، والترمذى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء(٣) من الشاة القرناء) .

---

(١) أى ولو بنصف تمرة .
(٢) كالدلالة على هدى والصلح بين اثنين ، وحسن الرد على السائل تطييباً لقلبه
(٣) هى التى لا قرن لها .

٢٨ — التحذير من جريمة الانتحار

الحمد لله الحكم العدل العلى القدير ، (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يزيد الشاكرين من فضله ، ويأجر الصابرين ويقيهم شر الحزن وعار الانتحار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : بشر الشاكرين والصابرين بالجنة دار الأبرار ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الشاكرين لأنعم الله ، (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما. ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) .

أنعم الله على الناس بنعمة الحياة ، وقدر لهم فيها رزقهم ، وامتحنهم فيها بما شاء ، وقال الله تعالى : (ونبلوكم(١) بالشر(٢) والخير(٣) فتنة(٤) وإلينا ترجعون) ، ولكن من الناس من ييأس من الحياة عند امتحانه ، فإذا ضاق عيشه أو رسب فى

---

(١) نمتحنكم ونختبركم .
(٢) أى بتسلط البلايا عليكم .
(٣) أى بتنعمكم بالنعم .
(٤) اختباراً لقواكم المعنوية وتربية لصفاتكم النفسية .

امتحان ، أو طالت مدة مرضه ، أو حرم محبوباً ملك قلبه ، أو أصيب ببلاء ما مما يبتلى الله به خلقه — تملكه الجزع ، وطار صوابه ، فعمد إلى الانتحار وقتل نفسه ، ولو أنه صبر على ما أصابه ، وآمن إيماناً صادقاً بأن كل شيء فى الحياة بقضاء وقدر ، وأن دوام الحال من المحال ، لاطمأنت نفسه ، واستراحت برجاء الانتقال من حال إلى حال ، ولم يفكر فى الانتحار ، ففاز بحسن الحال والمآل .

إن المؤمن الصابر — يرى أن المخفق اليوم — قد ينجح غداً ، والمريض قد يشفى ، والراسب فى الامتحان قد يفوز ، والأمل البعيد — قد يتحقق . فلا ييأس من روح(١) الله ورحمته (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ، ولا يغلبه الشيطان ليقدم على قتل نفسه ، وبذلك يسلم من النار ، التى أعدت للمنتحرين .

فالانتحار ، وقتل الإنسان نفسه — دليل الجزع ، وعنوان الضعف فى الإرادة والعزيمة والإيمان ، واختلال الشعور ، والاعتراض على قضاء العزيز الديان ، والفرار من تبعات الحياة ، وسبيل إلى النار .

ومن استحل الانتحار فقد استحل ما حرم الله ونهى عنه ، وكان من الكافرين ، الخالدين فى النار ، والجنة عليه حرام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « كان برجل جراح فقتل نفسه

---

(١) رحمته .

(٢) رواه البخارى .

فقال الله تعالى : بدرنى عبدى بنفسه حرمت(١) عليه الجنة » .

وليس فى الانتحار راحة من الغم والهم ، ولا منجاة من الكرب والشدة ، فعاقبته سخط الله وعذابه ، فكيف يلجأ إليه عاقل رشيد .

أيها المسلمون :

إن جزاء المنتحر — تكرير قتله فى نار جهنم ، بالطريقة التى قتلها بها فى الدنيا ، فالجزاء من جنس العمل .

فمن انتحر بقذف نفسه من قمة الجبل إلى أسفله — حكم عليه أن يفعل ذلك بها بلا انقطاع فى جهنم ، ومن انتحر بتجرع السم — ظل يتجرعه فى جهنم ، ومن انتحر بإطلاق الرصاص على نفسه ، أو

---

(١) أى تحريماً مؤبداً . إذا كان المنتحر قد استحل الانتحار ، وأنكر قوله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم) فارتد عن الدين ، أما من انتحر ، ولم يثبت استحلاله للانتحار فليست الجنة عليه حراما على التأبيد : وحكمه الغسل والتكفين والصلاة عليه ، كمن يموت حتف أنفه بلا خلاف بين أئمة المذاهب الأربعة ، وقال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : لا يصلى عليه لأنه ظالم لنفسه ، فيلحق بالباغى وقاطع الطريق ، ورجح هذا القول الكمال بن الهمام المتوفى سنة ٨٦٨ — لما فى صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام أتى برجل قتل نفسه ليصلى عليه ، فلم يصل عليه ، وروى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رجلا كانت به جراحة فأتى قرنا له ، والقرن جعبة النشاب — السهم — فأخذ مشقصا ، والمشقص سهم فيه نصل عريض ، فذبح به نفسه ، فلم يصل عليه النبى صلى الله عليه وسلم : وقال عمر بن عبد العزيز والإمام عبد الرحمن الأوزاعى : نكره الصلاة عليه . ولكن الفتوى على أنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ولا يحل بحال من الأحوال لأحد أن يقتل نفسه ليستريح من غم الحياة —

بقطع أحد شرايينه بموسى — حكم عليه أن يفعل بها ذلك فى جهنم على الدوام .

وهكذا(١) « من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة » وقد قال(٢) صلوات الله وسلامه عليه : « والذى يخنق نفسه يخنقها فى النار والذى يطعن نفسه يطعنها فى النار والذى يقتحم(٣) يقتحم فى النار » .

أيها المستمع لذلك الحق المبين : اعمل على انشراح صدرك وسرورك ، بما يرضى ربك . واحذر الشيطان أن يوسوس إليك بالانتحار ، فتنسى نفسك وغضب العزيز القهار ، واصبر على المصائب مهما تشتد ، واعلم أن الكرب إذا اشتد هان ، وأن مع العسر يسراً ، وأن مع الضيق فرجاً(٤) « وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

وهمها . وقاتل نفسه وإن كان أعظم وزراً من قاتل غيره — إثم قتله نفسه — لا يخرجه عن الإسلام قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وتركه صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه ؛ لبيان عظم ذلك الوزر كما قد كان صلى الله عليه وسلم لا يصلى على الميت — ان كان عليه دين — ويأذن لأصحابه أن يصلوا عليه . فإن صلاته شفاعة . وشفاعته موجبة . والعبد مرتهن بدينه . ولا يدخل الجنة حتى يقضى عنه . ولما من الله عليه صلى الله عليه وسلم بالغنائم كان يصلى على المدين . ويتحمل دينه ويدع ماله لورثته .

(١) ما بين القوسين — حديث نبوى شريف رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه البخارى .

(٣) يدخل . فمن انتحر بدخول نار الدنيا دخل نار الآخرة .

(٤) روى الترمذى وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج »

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي(١)
وكم أمر تساء به صباحاً وتأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الصمد(٢) العلي

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تردى(٣) من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسى(٤) سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ(٥) بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » .

---

(١) الحزين . (٢) المقصود في الحوائج
(٣) أسقط نفسه (٤) تجرع (٥) يطعن

٢٩ — المؤمن بخير فى الشدة والرخاء

الحمد لله ، الصبور الشكور : يجعل الإنسان — بالإيمان — صبوراً شكوراً ، والصبر يبلغ الأمل ، والشكر حصن النعمة والفضل. وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب الذاكرين الشاكرين الصابرين ، وفى الحديث النبوى الشريف :(١) (الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله — سيد الأولين والآخرين أقوى الناس إيماناً وأصبرهم وأعظمهم إحساناً — ذو الخلق العظيم.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد — وعلى آله وصحبه — ذوى السبق فى ميادين الرضا والصبر والشكر — فاستحقوا السلامة من الجحيم — والفوز بالنعيم والخير العميم.

أما بعد : فقد قال رجل لسهل بن عبد الله — أحد سلفنا الصالح : إن اللص دخل دارى ، وأخذ متاعى — فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك : يريد لص القلوب — وهو الشيطان الرجيم — فأخذ التوحيد والإيمان ماذا كنت تصنع ؟

فكل مصيبة تهون — إذا سلم لمن أصيب بها الإيمان ورضا رب العالمين.

عبد الله — الإنسان فى هذه الحياة — عرضة للرخاء والشدة — والفقر والغنى — وغير ذلك من عوارض الحياة ، كما قيل :

---

(١) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس . عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

ثمانية تجرى على الناس كلهم فكل امرىء تجرى عليه الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سقم وعافيه

وحصن الأمان للإنسان أمام هذه العوارض — هو الإيمان ، ولذلك — كان أجل النعم .

والإيمان الذى يكون كذلك هو ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ليس الإيمان بالتمنى — ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) .

فالمؤمن حقاً — المعتصم بالله — دائماً بخير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عجباً لأمر المؤمن : إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن) إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له - وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

ورحم الله من قال :

يجرى القضاء وفيه الخير نافلة لمؤمن واثق بالله لا لا هى
إن مسه فرح أو مسه ترح فى الحالتين يقول : الحمد لله

وقد كان بالبصرة مؤمنة عابدة تزن المصائب بميزان شدة النار التى أعدها الله للكفار والفجار .

لذلك ما كانت تجزع عند المصائب - فذكروا لها ذلك - فقالت - ما أصاب بمصيبة — فأذكر معها النار التي أعدها الله للعذاب — إلا صارت تلك المصيبة في عيني أصغر من الذباب .

يا قوم : خلق الله الانسان حريصاً على الخير — ليسعى إليه — وفي ذلك عمارة الأرض ، وفي القرآن الكريم (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) وقد يشتد حرص الإنسان على الخير ، فيكون هلوعاً جذوعاً عند إصابة الشر — منوعا للخير — بخيلا به عند الإنعام به عليه .

والإيمان الصادق بالله هو الذي يهدي القلب إلى أن الخير فيما اختاره الله تعالى .

ذلكم الإيمان الذي يورث الجنة ويقي دخول النار ، ذلكم الإيمان الذي تزيده المداومة على الصلاة والمحافظة عليها ، والتصدق على المحتاج وحفظ الأمانة والوفاء بالعهد ، وأداء الشهادة بالحق وسائر الطاعات ، وحفظ الفرج عن الحرام — واجتناب سائر الآثام .

ذلكم الإيمان — هو الذي يقف الإنسان في حرصه على الخير عند حد الاعتدال فيكون صابراً عند البلاء فلا يجزع — شاكراً عند العطاء فلا يبخل ولا يمنع ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : (إن الانسان خلق هلوعاً — إذا مسه الشر جزوعاً — وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين .

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون — والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون) .

ومن هنا يا قوم — تعلمون أن المؤمن الصحيح الإيمان — يعرف الله فى الرخاء والشدة .

ومن الناس من يعرف الله فى الشدة دون الرخاء ، فإذا نزل به مرض أو فقر أو شدة ، فذكر ربه ودعاه مستقراً على جنبه أو قاعداً أو قائماً واستغاث وابتهل — آناء الليل وأطراف النهار وطلب وألح أن يفرج الله ضره متوسلا بفعل الطاعة وعمل البر ، حتى إذا كشف ما نزل به مضى على طريقه الأول — من الكفران والجحود ونسى من فرج كربته وأزال غمته وكأنه لم يدعه ولم يسأله شيئاً .

كأن ذلك الإنسان قد ضمن الأمان من الضر بعد ذلك ، وذلك جهل وغفلة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) ومن الناس — من لا يعرف الله فى الشدة ولا فى الرخاء ، فهو فى الشدة يائس من الفرج ، غافل عن النعم الأخرى غير التى حرمها وفى الرخاء بطر غير

شاكر . وفى القرآن الكريم ، قال تعالى : (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور — ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) .

ومن الناس من يعرف الله فى الرخاء دون الشدة : يعبد الله عبادة صورية لا رواح فيها — ما دام فى صحة واطمئنان فإن ضاق رزقه أو اعتل جسمه أو فلت نعمته نكص على عقبيه وتقاعد عن تلك العبادة وانصرف عنها ، وقد يوسوس له الشطيان بأنها قد تكون السبب فيما أصابه ، وصدق الله إذ قال — (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين) .

عبد الله : دوام الحال من المحال ، فلا دوام إلا لله وحده فالغنى اليوم — قد يكون فقيراً غداً ، وقد يصبح الفقير ذا مال (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فيوم لنا ويوم علينا ويوماً نساء ويوما نسر
وثواب من صبر وشكر عظيم .

إيماننا بذلك يجعلنا نرضى عن الله فى قضاوئه ، ألا إن الرضا بقضاء الله باب الله الأعظم — وجنة الدنيا — ومستراح العابدين — فهو تبارك وتعالى — المالك وحده لكل شىء (له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

فالبلية امتحان منه تعالى ، فإن صبرت ورضيت أجرت وكسبت

وإن جزعت وسخطت عوقبت وخسرت ، والنعمة فضل منه تعالى فلا يليق أن تشغلك عنه جل شأنه ، (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد) .

والله يا عبد الله — مات يحى بن عقبة فنزل عقبة فى قبره — وتولى دفنه بيده فقال له رجل : والله إنه كان سيد الجيش — فاحتسبه وادخر ثوابه عند ربك ، فقال عقبة وما يمنعنى أن أحتسبه وأدخر عند ربى ثوابه وقد كان من زينة الحياة الدنيا وهو اليوم بصبرى على موته من الباقيات الصالحات — قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) .

وقد مات عبد الله بن مطرف ، فخرج أبوه مطرف على قومه فى ثياب حسنة وهو متعطر فغضبوا وقالوا — يموت عبد الله وتخرج فى مثل هذه الحال ؟ قال - أفأستكين وأخضع للمصيبة وقد وعد ربنا عليها خصالا كل منها أحب إلى من الدنيا وما عليها (قال جل شأنه) : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات(١) من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

وقد أتى سيدنا عثمان بن عفان بيت النبى صلى الله عليه وسلم يوماً . فعرف أنهم فى حاجة إلى الطعام من منذ أيام ، فذهب إلى بيته

---

(١) الصلوات من الله معناها الرحمات . ولكن مع عطف الرحمة عليها ينبغى التغاير . فلعلها ثناءات الله على الصابرين كما قيل .

وحمل إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم — دقيقاً وسمناً — وبعد إعطاء ذلك لأهل البيت . انتبه إلى أنهم جياع — وفى حاجة إلى طعام عاجل وتذكر أن فى بيته خبزاً ولحماً مشوياً فأحضر إلى بيت النبي طعاماً ، ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته ، ونظر حسن حالهم بعد شبعهم وقد عرف أن ذلك الخير جرى على يد عثمان شكراً لربه المنان رفع صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء قبلة الدعاء — وقال يارب ، إنى راض عن عثمان فارض عنه .

فما أحوجنا عباد الله لخير أنفسنا أن نسير فى حياتنا مستعينين بالصبر عند البلاء . والشكر عند العطاء — فبهاتين الفضيلتين نكسب أحسن الجزاء وخير الحياتين .

أيها المسلمون : اتقوا الله ربكم ، واشكروا له على نعميه يزدكم — واصبروا على مايصيبكم تسترح نفوسكم : قال ابن المبارك من صبر فما أقل ما يصبر — ومن جزع فما أقل ما يتمتع .

والله تعالى يقول : (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) .

روى الطبرانى فى الكبير والبيهقى عن سخبرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من ابتلى فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر الله — أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

توجيه التاجر لخيرى الدنيا والآخرة

الحمد لله : جعل التجارة من وسائل الرزق ، وقال (وأحل الله البيع).

وأشهد أن لا إله إلا الله : كما يحب المشترى السمح الذى لا يساوم مساومة بها يضيع الوقت ويتعب البائع ، لا يطمع فيما ليس من حقه فيحببه ذلك إلى البائع ، فيهش له ويصدقه ، ويقدم له أفضل السلع — يحب سبحانه البائع السمح الصادق الأمين المعتدل فى الربح اللين الكلمة لزبائنه ، الذى يهش فى وجوههم ويعمل جهده على إرضائهم ، ولا يغش فى البضاعة التى يقدمها لهم ، فيحببه ذلك إليهم ، فيؤثرونه على سواه ، فتروج تجارته ويعظم ربحه .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، حث على السماحة والسهولة فى المعاملة : تأليفاً للقلوب ، وتيسيراً للتعامل ، ولتطيب العلاقات بين الناس ، فيرضى الله عنهم ويرحمهم . قال صلى الله عليه وسلم(١) : (رحم الله رجلا سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى) : أى طالب(٢) بحقه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه السمحاء .

---

(١) رواه البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

(٢) طالب حقه السمح السهل هو الذى يرفق بمن له عنده حق ، فلا يعنف فى مطالبته ، ولا يحاول النيل من كرامته ، ولا يسخر منه أمام الناس . ويختار أفضل الأوقات التى يرى أنه فى ميسرة فيها . وقد رغب الدين فى انظار المعسر —

أما بعد :

فالرزق مقسوم جعل الله السعى له سبباً ، ومن السعى التجارة ، التى شرفت بأن رسولنا صلى الله عليه وسلم كان تاجراً ، وكان شغله صلى الله عليه وسلم بالتجارة مظهراً لصدقه وأمانته ، ومن سار سيره من التجار — سعد فى دنياه وأخراه : قال صلى الله عليه وسلم (التاجر الأمين الصدوق(١) مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)(٢) .

والأنبياء — كما لا يخفى — هم الذين حملوا رسالة الله إلى الناس ، وكانوا مصدر النور والهداية ، فهم سادة الأنام .

والصديقون : هم الذين أسرعوا إلى تصديق الأنبياء ونصروهم وتحملوا الأذى فى سبيل الدين . كأبى بكر الذى هاجر مع رسولنا صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأنفق كل ماله فى سبيل الله ، ونصرة دينه .

— وإمهاله لوقت يسره ، حتى يستطيع تسديد ما عليه ، بل رغب فى التصدق ما عليه أو بعضه : قال الله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رواه الترمذى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وروى مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وروى البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه) .

(١) المتمسك بالصدق لا يحيد عنه .

(٢) رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

والشهداء : هم أولئك الذين قتلوا فى سبيل الله وإعلاء كلمته .

والصالحون هم أولئك الذين قضوا حياتهم فى طاعة الله ، وبذلوا أموالهم فى مرضاته .

فتصوروا — ياقوم — رفعة مقام هؤلاء : لتروا المقام الأسمى ، الذى رفع النبى صلى الله عليه وسلم إليه التاجر الأمين ، الذى لايتخلى عن الصدق ولايحيد عنه .

إن التاجر الأمين الصدوق — يخشى الله فى السر والعلن ، ويقاوم إغراء المال ، وسلطان الجشع ، لم يبطره الكسب ، ولم تطمعه الخسارة ، وهو أمين يفى الكيل والميزان ، ولايغش السلعة فيطمئن الناس إليه وهو صدوق لايغالى فى الثمن ، ولايخدع الناس ، ولايزيف السلعة : قهر نفسه الأمارة بالسوء ، وراقب الله تعالى ، الذى يعلم السر وأخفى ، فرضى بالكسب الحلال ، فنال منزلة رفيعة بين من اصطفاهم الله وأعلى قدرهم وما الذى يمنع العاقل الرشيد من التجار أن ينال تلك المنزلة الرفيعة بين أحباء الله الأخيار .

ياقوم :

إن الغش والخداع والكذب ، والحلف الكاذب — لاتزيد فى الرزق فى الحقيقة . ولا يغرن غافلا — فورة الكسب حالا فإنه يغور عاجلا : قال صلى الله عليه وسلم : [الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب وفى رواية ممحقة للبركة] .

(١) روى البخارى ومسلم الرواية الاولى ، وروى أبو داود الرواية الأخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فان الحلف عـلى أن البضاعة الرديئة المغشوشة الكاسدة — جيدة — يخدع الناس فى بدء الامر ، فيقبلون على شرائها فتروج وتنفد ، ولكن ما أسرع مايعلم الناس حقيقة أمرها وقيمتها عند اختبارها ، فيعلمون أن بائعها كاذب ، وتاجر غشاش لايعامل فيقاطعونه ، فتكسد بضاعته ، ويضيع ماله .

فالغش فى التجارة كما يعود ضرره عـلى المشترى ، فهو ظـلم له يحزنه ، ويوغر صدره ، ويؤدى إلى التشاجر والتطاحن — يضر التاجر، فهو يسىء إلى سمعته ، ويصرف الناس عنه، وكفاه أنه يخرجه من عداد المؤمنين ، الراضين بالحلال الطيب من الكسب ويغضب عليه الله ورسول . مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق على صبرة (١) طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال : ماهـذا ياصاحب الطعام ، فقال : يارسول الله ، أصابته السماء[٢] . قال : (ألا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا(٣)) .

فالغش حرام ، وإثم كبير . وإذا انتشر فى مجتمع — قطع روابطه ، وأعدم المجتمع الثقة والتعاون بين أفراده ، فلا يقدم عليه تاجر عاقل حى الضمير ، ذو دين منتبه للعواقب ، فانه لايرضى

---

[١] هى الكومة من الطعام : مما يباع بلا وزن ولا كيل

[٢] نزل عليه المطر

[٣] رواه مسلم ؛ وأبو داود ؛ والترمذى

لنفسه ، ولا لأمته — بالغش — الشر والنوائب .

فما أقبح — إذا — التجار الغشاشين ، وما أسوأ عقباهم : أولئك الذين يخفون عيوب سلعهم ، أو يظهرون الجيد ، ويدسون تحتـــه الردىء ، أو يخلطون الطيب من البضاعة برديئها ، أو يضيفون إلى السلعة — ماليس منها : ليزيد من قيمتها : كما يخلط بعض باعة اللبن لبنهم بالماء ، ألا يفيق أولئك التجار الكاذبون الخونة — من سكرتهم بالـكسب الحرام ؟ ألا يقدرون موقفهم بين يدى الله العزيز العلام القائل : (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) .

أيها التاجر المسلم :

اتق الله ، وأخلص دينك لله ، واسع لكسبك — بالصدق والأمانة ومجاهدة نفسك : لتترك الجشع والكذب ، والخيانة ، ولا تحتكر بضاعة يحتاج إليها الناس فتمسكها عنهم لتبيعها بسعر مرتفع ، أغلى من السعر فقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم (١) (من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين — فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله) .

وذلك لأن الله تعالى عاهد الناس ، وقد رضوا به تعالى رباً

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وبالإسلام ديناً . وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا — على ألا يضيقوا على المسلمين — باحتكار أقواتهم ولا يؤذوا أحدا بأى نوع من أنواع الإيذاء ، ولهم على الوفاء بما عاهدوا الله عليه — حسن الجزاء ورضاه تبارك وتعالى ، فاذا خالفوا ذلك — تبرءوا من ذلك العهد فغضب الله عليهم ، وجزاهم بما يستحقون من شر .

تقبل — أيها المسلم — ما نصحت به ، وأوف بعهد الله تطب حياتك وتنل أعلى الدرجات عنده تعالى ، فقد قال جل شأنه .

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

روى الإمام أحمد ، والترمذى ، عن عثمان بن عفان : رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

من غش (١) العرب لم يدخل فى شفاعتى . ولم تنله مودتى .

روى الترمذى عن رفاعة رضى الله عنه — أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى ، فرأى الناس يتبايعون ، فقال : (يامعشر التجار ، فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم اليه ، فقال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق) .

---

(١) غش غير العرب حرام ، لكن غش العرب أعظم جرما وإثماً .

٣١ - الرجولة فى الاسلام

الحمد لله : أثنى على المؤمنين المستمسكين بدينهم فقال : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : يحب المؤمن القوى فى دينه القوى الإرادة والعزيمة ، الذى لا يضعف أمام الشدائد ، ولا يرضى الذلة والهوان أبداً ، ونصب عينيه قوله تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى لم تزده قوة عدوه وكثرته وإغراؤه بالملك والجاه والمال إلا استمساكاً بالحق ، وقوة فى الدعوة إليه بين الخلق ، وقال (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين استعانوا بربهم ، الذى لا ينفع ولا يضر أحد إلا بإرادته تعالى فلم يتملقوا مخلوقاً ولم يخشوا بأس مخلوق (والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) .

---

(١) مات .

أما بعد :

فالإسلام دين العزة — لايليق أن يكون من ينتسب إليه — غير متصف بالرجولة ، الصفة الجامعة لكل صفات الشرف : من اعتداد بالنفس وثقة بها وإباء ضيمها . واحترامها وتكريمها : فى غير كبر ورد للحق ، وبدون احتقار لغيرها ، ومن شعور عظيم بأداء الواجب مهما كلف صاحبه من مشقة وتعب ، و من حماية للأسرة والأمة والوطن والدين ، ومن بذل الجهد فى سبيل تلك الغوالى ونصرها وإعزازها .

فالعالم الرجل من أدى رسالته العلمية لقومه ، مهما ناله فى سبيلها من عناء .

والصانع الرجل من بذل جهده فى صناعته ، ساعياً إلى رقيها لخير أمته ، وهو يشعر بأنه يخدم وطنه بذلك كخدمة السياسى له بسياسته . فهو لذلك — لايخدع مواطنيه ولا يغش ، ويقنع بالربح المعتدل مع الصدق .

وبالصدق والأمانة والهمة والاجتهاد — يستطيع الزارع فى حقله ، والتلميذ فى مدرسته ، والتاجر فى متجره ، وكل ذى حرفة .

خير ، لا شر فيها — أن يكونوا رجالا

وخلق الرجولة — هو معيار المجد والفضيلة

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً

من الخلق حتى عد ألف بواحد

ولذلك — كان عصر المسلمين الأول — أزهى العصور وخيرها عن بلغوا درجة عظيمة من المجد والفضيلة .

وخير قدوة فى هذا الخلق هو رسولنا الكريم المخاطب بقول الله أصدق القائلين : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

وفى جميع أعماله صلى الله عليه وسلم ، وفى أدوار حياته — يتجلى خلق الرجولة . فجميع حياته صلوات الله وسلامه عليه سلسلة نفيسة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الصادقة .

إيمان لاتزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائم فى نصرة الحق ، وحرص على تعالى الأمور ، وترفع عن حقيرها .

وقد فارق صلى الله عليه وسلم الحياة ، ولم يترك ثروة ، ولم يخلف عرضاً زائلا — كما يفعل ذوو السلطان والجاه . وإنما خلف صلى الله عليه وسلم — مبادىء خالدة ، ورجالا رعوها ونشروها ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيلها ، وهم أصحابه الكرام ،وفيه وفيهم يقول الله تعالى :

« محمد رسول الله والذين معه أشـــداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيـــل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع

ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

وأقوى ميزات عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان رجلا ، لايراعى فى الحق كبيراً ، ولا يبالى عظيماً أو أميراً ، وقال : (يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول : لا بملء فيه أى فمه ، وقال فى وضع مناهج تعليم الرجولة : (علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم ما يجمل من الشعر) ، وكتب رضى الله عنه إلى الولاة — ما يكونون باتباعه — رجالا ، وتكون به الرعية رجالا : (اجعلوا الناس فى الحق سواءاً : قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم . وإياكم والرشا والحكم بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب) ، (ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم — أى لاتحبسوهم فى أرض العدو — فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض (١) — أى الأماكن التى تذهب بخشونتهم أو تجلب لهم المرض : لكونها غير صحية — فتضيعوهم) .

ولذلك التوجيه ونحوه كان سلوك المسلمين فى صدر حياتهم — فى العهد الأول — عنواناً فخماً للرجولة ، ولا عجب أن كانوا وهم لم يتخرجوا فى جامعات ولا مدارس علمية ، ولم يتلقوا نظريات

---

(١) جمع غيضة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

سياسية - قدوة الحكام والقادة - خريجي المعاهد العلمية ، وأرباب السياسة - الصالحين المصلحين .

ويا قوم :

إنما هي الرجولة التي غرسها في أسلافنا الصالحين ديننا ، ونشرها بينهم عظماؤهم — سمت بهم وأعزتهم وفتحت لهم أرق البلاد حضارة . وجعلت لهم الكلمة النافذة في أعظم الامم مدنية ، وجعلتهم يلقون درساً على العالم أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد في الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وأن الامم تقاس برجولتها . التي هي عنوان مكارم أخلاقها . وصالحات أعمالها وحسن معاملتها .

أيها المسلم :

اتق الله وكن رجلا : بوفائك للعهد لربك وللناس مهما كلفك الوفاء من تضحية وعناء وبقولك الحق لا تخاف فيه لومة لائم . ولا تهاب أحداً إلا الله . قال صلى الله عليه وسلم : ((١) لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه) كن رجلا حرص على ما يقود النفس والمجتمع إلى النفع والخير - بحثك غيرك على ما ينفع الأمة . وبالصبر على المكاره . وتقوية العزيمة لمجد الوطن — مع الاستعانة بالله . الذي لا يخيب من أعد العدة وتوكل عليه تبارك وتعالى . كن رجلا بالتمسك بأوامر الله واجتناب نواهيه . والبعد

---

(١) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

عن الكسل عن الصالحات (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) .

كن رجلا : بإمامتك لغيرك فى فعل الخير وإزالة الشر وتركه مهما شق على نفسك ذلك . ولا تنتظره حتى ترى غيرك يسبقك إليه فتتبعه. فقد سجل الله فى القرآن لعباده ، الذين يستحقون رحمته وثوابه - قولهم فى دعائهم : (واجعلنا للمتقين إماماً) .

روى مسلم فى صحيحه . عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لقد رأيت رجلا يتقلب[١] فى الجنة : فى شجرة قطعها من ظهر طريق كانت تؤذى المسلمين) .

(١) يتنقل فيها ، وفى ذلك زيادة التمتع : وذلك بسبب قطعه الشجرة المؤذية للمسلمين حين يمرون بالطريق المعترضة فيه ، فلم يتركها ولم ينتظر معتمداً على أن يقطعها غيره ممن لا يهتم إلا بمصلحته الشخصية الخاصة :

٣٢ ـ الاصلاح بين الناس

الحمد لله : يحب للناس الوفاق ، ولا يرضى لهم النزاع والشقاق وأشهد أن لا إله إلا الله : يرضى لعباده أن يعيشوا فى سلام متحابين ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، خير من دعا إلى الإصلاح بين المتخاصمين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين طهرت من الحقد قلوبهم ، وانطوت على الود نفوسهم فعاشوا أقوياء متحدين .

أما بعد فقد قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

عباد الله :

إن الحياة مع الخصام جحيم ، وعذاب أليم : يشغل الخصام القلب ، ويدعو إلى الهم ، ويحرق الدم ، ويضيع الوقت فيما يضر ولا ينفع ، ويدفع إلى المحاكم ، حيث يضيع المال فى رسوم القضايا وانتقالاتها وشهودها ، وكل سبيل مظنون لكسبها ويقضى على الذمم ، فتنكر الحقوق الظاهرة ، وتروج شهادة الزور ، ويسلك كل سبيل للانتصار ، من غير مبالاة بغضب القهار وتقوم المشاجرات بين المتخاصمين ، فتقلع الزروع ، وتحرق الثمار ، وتسرق البيوت ، ويسم الحيوان وقد يقتل الإنسان .

لذلك دعا الله إلى الإصلاح [١] بين المسلمين ، ليؤدوا رسالة الحياة ويفرغوا للمصالح وعمارة الأرض وعبادة الله ، فيرحمهم سبحانه وتعالى .

وإن الأخوة الإسلامية — توجب على المسلمين أن يزيلوا ما بينهم من خصام ، ويحلوا محله المحبة والوئام ، فلا يدعوا بينهم فردين يتعاديان ، ولا فريقين يختصمان ، ولا أسرتين تقتتلان ، حتى يكونوا كتلة متماسكة ، فتسمع كلمتهم ، ويهابهم غيرهم ، ولاشك أن الإصلاح بين الزوجين — يقي الأسرة الانهيار والانحلال ، ويحفظ الذرية من الضياع والاهمال ، وقد وعد الله على السعى فى الصلح أجره العظيم ، وخيره العميم : قال جل شأنه : (لاخير فى كثير من نجواهم[٢] إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : [٣] « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » .

---

[١] لعظم فائدة الصلح ، وأثره فى طيب الحياة — قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيرا » رواه البخارى ومسلم ، ويقال نمى فلان الحديث بتخفيف الميم إذا بلغه بخير على وجه الإصلاح ، وبتشديد الميم إذا كان على وجه إفساد ذات البين .

(٢) النجوى : الاسم من المناجاة ، بمعنى المسارة : من السر ، أو النجوى القوم المتناجون .

[٣] رواه الطبرانى وغيره

ومما يحقق الصلح — العفو والتسامح : قال أنس بن مالك رضى الله عنه [١] « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه [٢] ، فقال له عمر : ما أضحكك يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ؟ قال : رجلان من أمتى جثيا [٣] بين يدى رب العزة ، فقال أحدهما : يارب خذ لى مظلمتى من أخى ، فقال الله : كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شىء ؟ قال : يارب فليحمل من أوزارى ، وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ، ثم قال : إن ذلك ليوم عظيم ، يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب : ارفع بصرك فانظر ، فرفع فقال : يارب أرى مدائن من ذهب ، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأى نبى هذا ، أو لأى صديق هذا ، أو لأى شهيد هذا ؟ قال : لمن [٤] أعطى الثمن ، قال : يارب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : فإنى قد عفوت عنه ، قال الله : خذ بيد أخيك وأدخله الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين » .

---

[١] رواه الحاكم وغيره
[٢] فى الفم أربع أسنان يقال لها : ثنايا جمع ثنية
[٣] بركا على ركبتيهما
[٤] أى هذا الذى ترى لمن أعطى الثمن

أيها المسلمون :

فى الإصلاح بين الناس ، وفى العفو عنهم — رضا الله ، وهو الخير كله للعبد فى دنياه وأخراه (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء [١] إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا [٢] إن الله يحب المقسطين) .

روى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى ، قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة » قال الترمذى : ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » .

وروى الطبرانى والأصبهانى ، عن أبى أيوب قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله : تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا » .

---

(١) ترجع
(٢) وأقسطوا : واعدلوا

٣٣ – عناية الإسلام بصحة الأجسام

الحمد لله : أنعم بصحة الأبدان ، ليذوق عباده نعمه ، فيشكروا له ، وينهضوا بأعباء الحياة ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يرضى عمن يحافظ على صحته ، لأداء عبادته ، وعمارة دنياه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : دعا إلى المحافظة على صحة الأبدان ، والوقاية من الأمراض ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حافظوا على صحة أرواحهم وأجسامهم ، فكانوا أقوياء سعداء .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وواضح — أن إهمال صحة البدن ، أو التقصير فى حفظها ، أو التسبب فى إضاعتها — إساءة ، قد تؤدى إلى الهلاك ، وأن من الإحسان ، الذى يرضى الكريم المنان — العناية بصحة البدن والمحافظة عليها ، فالسعيد من انتهى عما نهى الله عنه ولم يهمل صحة بدنه ، وحرص على التمتع بها .

أيها المسلمون :

صحة الأبدان ، وخلوها من الأمراض ، وسلامتها من الآفات — أساس أداء الأعمال ، والقيام بالواجبات ، لذلك — قرر الإسلام أنها نعمة من أجل نعم الله ، التى يغفل عنها ، وعن

القيام بشكرها كثير من الناس ، ولا يتفطن لها إلا القليل منهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم( ) : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

وكان (٢) النبي صلى الله عليه وسلم يعالج نفسه ، ويشرب الدواء ، وقال صلوات الله وسلامه عليه(٣) : « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا(٤) بحرام » .

وعنى الإسلام بالنظافة ، فاشترط طهارة البدن والثوب والمكان لصحة الصلاة ، التي هي وقفة روحية مع الله ، ليتفرغ فيها العبد بنشاط من النظافة ، من شئون دنياه ، إلى مناجاة مولاه ، وحتم لأدائها — تطهير مخارج الأقذار ، وتنظيف الأطراف المتعرضة لما يحمل الجو من أتربة وجراثيم : قال أنس بن مالك(٥) كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به ، وقال تعالى في كتابه الكريم : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه
(٢) ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد
(٣) رواه أبو داود
(٤) ومن التداوي بالحرام — التداوي عن طريق الدجل والشعوذة وما إلى ذلك ، وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له » .
(٥) رواه البخاري

وأرجلكم إلى الكعبين) وقال الرسول عليه الصلاة والسلام(١) : « لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ » .

ومن آداب الإسلام — غسل اليدين قبل النوم وبعده ، وقبل الطعام وبعده : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : « من نام وفي يده غمر(٣) ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه » وقال عليه الصلاة والسلام(٤) : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لايدري أين باتت يده » وقال صلى الله عليه وسلم(٥) . « بركة الطعام الوضوء(٦) قبله والوضوء بعده » ، ورغب صلوات الله وسلامه عليه في التخلل (٧) من فضلات الطعام ورائحته ، وفي نظافة(٨) اللثة والأسنان .

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه الترمذى

(٣) دسم

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه أبو داود

(٦) غسل اليدين

(٧) روى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال : «حبذا المتخللون من أمتى ، قيل . وما المتخللون يارسول الله ؟ قال: المتخللون فى الوضوء والمتخللون من الطعام » .

(٨) روى البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » وفى رواية صحيحة : « مع كل وضوء » وروى البخارى ومسلم أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من النوم يشوص — أى ينظف — فاه بالسواك .

والأسنان بالسواك، ونظافة الملابس(١) والبيوت والطرق(٢)، وسن(٣) صلى الله عليه وسلم تسريح(٤) الشعر ودهنه، والغسل(٥) في كثير من الحالات، كشهود الجمعة والجماعات — حرصاً على زيادة النظافة في الاجتماعات.

ورغبة في نشاط الجسم وزيادة نظافته، وتقوية روحانيته — فرض الإسلام الاغتسال من الجنابة. قال تعالى: (وإن كنتم جنباً فاطهروا).

---

(١) روى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة»، والرحال: الدور والبيوت والمساكن، والشامة: الخال في الخد، والمراد: تنظف البيوت حتى تكون صحية، وتنظيف الملابس حتى يكون لابسها بين الناس كأنه شامة ينظرون إليه نظرة السرور والاعجاب كما ينظرون إلى الخال في الخد

(٢) روى البخاري في الأدب أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أمط الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة» ومعنى إماطة الأذى عن الطريق: تنحيته وإبعاده، وروى الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»

(٣) أي جعل ذلك طريقة متبعة.

(٤) روى البغوي الإمام المفسر المحدث أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا منتفش الشعر فقال: «أما وجد هذا مايسكن به رأسه» فلما أصلح الرجل من شأنه — قال صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»

(٥) كتب السنة مليئة بأدلة ذلك

ولصحة الناس ، ووقايتهم من الميكروبات ، وسلامتهم من الأمراض — نهى الإسلام عن التبول فى الماء الراكد(١) ، وعن التبرز(٢) فى طريق الناس ، وفى ظلهم الذى يجلسون فيه ، وموارد مياههم ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتغطية أوانى الطعام والشراب ، فقال(٣) « خمروا — أى غطوا — آنيتكم » .

ومن حرص الإسلام على صحة الأبدان — أمر بالاعتدال فى الأكل والشرب : قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم(٤) « ما ملأ ابن آدم وعاءاً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ، ونهى عن تناول الخمر والمخدرات ، ولعب القمار ، والتعرض للاصابة بالأمراض الخبيثة — بالزنا ، ووطء الحائض والنفساء ، ونحو ذلك(٥) ، مما يتلف الصحة ويضر ويهلك ، ووضع مبدأ الحجر الصحى — لحصر

---

(١) روي مسلم نهيه صلى الله عليه وسلم عن التبول فى ذلك الماء

(٢) روى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال : (اتقوا الملاعن الثلاثة البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق — أى ظاهر الطريق وأعلاه — والظل) ولا شك أن التغوط فى هذه الأماكن الثلاثة — يجلب لعن الناس ، ولذلك سميت ملاعن — عند التغوط فيها .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الإمام أحمد .

(٥) كمزاولة العادة السرية — الاستمناء — أى إخراج المنى بوساطة اليد أو نحوها . وهى عادة قبيحة متلافة للصحة . وقد تصل بالمسرف فيها — إن لم يتداركه الله بلطفه بالامتناع عنها بالزواج أو العلاج إلى الجنون أو السل .

الأوبئة الوافدة فى حدودها ومنع انتشارها فى أوسع من محيطها : قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأن الطاعون(١) « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .

فالإسلام دين السعادة الحقة — يدعو إلى صحة الأبدان ، كما يدعو إلى صحة الأرواح ، ليؤدى الفرد والجماعة رسالة العمران ، بصحة وعافية فى إحسان وإتقان .

أيها المسلمون :

حافظوا على صحة أبدانكم ، واحذروا إضاعتها ، وتداووا من الأمراض سعياً إليها ، واشكروا الله الذى تفضل عليكم بها واعلموا أنكم عليها محاسبون (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونرويك(٢) من الماء البارد » .

وروى الطبرانى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : « اغزوا تغنموا . وصوموا تصحوا . وسافروا تستغنوا » .

---

(١) رواه البخارى

(٢) معطوف على نصح بالجزم . وفيه أثبات حرف العلة مع الجازم وهو لغة .

٣٤ ـ القوة دعامة الحق ودرعه

الحمد لله الواحد القهار، وأشهد أن لا إله إلا الله: يحب المؤمن القوى، الذى ينصر الحق ويحمى الديار، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله: نشر الحق بقوة الحجة، وحماه بالشدة على عداته الطغاة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، أولى القوة والإيمان، الذين قضوا على الظلم والطغيان.

أما بعد فقد قال الله تعالى: (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا).

فى هذه الآية الكريمة — يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بالجهاد فى سبيله، قائلا له: لا تكلف إلا عمل نفسك، وليس عليك تبعة أحد وحث المؤمنين عليه، وترغيبهم فيه، لتنبعث هممهم إليه، عسى الله أن يكف قوة الذين كفروا، أعداء الحق وأنصار الباطل، والله الذى فى سبيله جهاد النبى والمؤمنين — أشد قوة من أولئك الكافرين وأشد تنكيلا أى تعذيباً.

أيها المسلمون:

قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الحق بمكة، فوقف فى طريقه أعداؤه، وآذوه ومن آمن معه، فلما هاجر إلى المدينة المنورة وجمع حوله جنود الإسلام، ووحد بين من اتبعه من الأقوام، فتهيأت القوة لدفع طغيان الكافرين وعدوان أعداء الحق، أنصار

الباطل الظالمين — أذن الله بالقتال ، لإخلاء الطريق للحق ، حتى قام وانتصر ، وضعف الباطل وانكسر ، وانتشرت بين الناس تعاليم الخير ، ومبادىء الإنسانية الرفيعة ، وقوانين العدالة ، لانتشار السعادة ، وتحقيق الحياة الطيبة .

ولحفظ الحق ، لنفع الخلق — قال الرسول صلى الله عليه وسلم(١) : « الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى يوم القيامة حتى يقاتل آخر أمتى الدجال : لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » ، فلابد للحق — فى كل زمان ومكان — من قوة يقوم بها ، وتحفظه من الضياع .

فلا تستقل أمة ، ولا تنال حقها وحريتها بغير القوة ، ولا تعز ولا تسعد بالكلام يردد ، والهتاف يدوى ، وإنما تعز وتسعد بقوة إيمانها بحقها ، وبقوة سواعد أبطالها ، وقوة سلاحهم واستعدادهم واتحادهم ، واجتنابهم لعوامل الضعف والهلاك ، وقوة تعاونهم على البر والتقوى وصالح الأعمال ، التى ترضى ربهم الكبير المتعال .

لذلك — حرص سلفنا الصالح على أن يكونوا أقوياء ، فعملوا بكتاب الله ، وتأدبوا بآداب رسول الله ، فلم يخشوا غير الله ، ولم يرضوا حياة الذل ، فجاهدوا فى سبيل العزة والكرامة ، وساد بينهم العدل والاستقامة واختفت من مجتمعهم المنكرات ، فما كان فيه رشوة ولا نفاق ، ولا قسوة ولا شقاق ، وعنوا بصحة أبدانهم

---

(١) رواه الإمام أحمد .

وحسن أخلاقهم ، وقوة إيمانهم فأحبهم الله وأيدهم بنصره ، ورفعهم مكاناً علياً ، ونالوا حقهم فى الحياة كاملا غير منقوص .

أيها المسلمون:

احرصوا على قوة الإيمان ، وقوة الأبدان ، واستعدوا للجهاد فى سبيل الحق وعزة الأوطان ، بالاتحاد والتدرب على الرمى ، وتعليم فنون القتال ، والبعد عن الفساد ، وبالتقوى والاحسان — يحببكم الله وينصركم ، ويحفظ لكم حقكم (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

روى مسلم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعل ، فإن لو (١) تفتح عمل الشيطان » .

---

(١) قد تستعمل لو فى تمنى القربات ، ولا كراهة فى استعمالها فى ذلك ، وإنما كراهة استعمالها فى التلهف والتحسر على أمور الدنيا إما طلباً وإما هرباً لما فى ذلك من عدم التوكل ، والطريق القويم الذى يتبع عند وقوع المكروه أو فوت المحبوب : هو — بالنسبة للماضى — أن نسلم الأمر فيه لله . ونقول قدر الله =

روى الترمذى والحاكم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان يدعو فيقول : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك . ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك . ومن اليقين ما يهون علينا مصيبات الدنيا . ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله(١) الوارث منا واجعل ثأرنا(٢) على من ظلمنا . وانصرنا على من عادانا . ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا . ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا . ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » .

= وما شاء فعل ، كما علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالنسبة المستقبل أن نعد له عدته معتبرين بالماضى ، متجنبين الأسباب ، التى أدت لوقوع المكروه أو فوت المحبوب ، وصفوة القول أن هذا الحديث الشريف — يدعو الى تقوية الإيمان والعزائم والأبدان ، والجد فى الأعمال والاعتماد على الله ، وترك الأمانى الباطلة والكمليات غير المجدية والأخذ فيما يفيد .

(١) الضمير فى (واجعله) . راجع للتمتع المأخوذ من (متعنا) : على حد قوله تعالى : اعدلوا هو أقرب . راجع الى العدل المأخوذ من (اعدلوا) فالمعنى : واجعل تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا — الوارث منا ، أى اجعله فى مرضاتك باقياً عنا نذكر به بعد ما أمتنا .

(٢) أى الهلاك لأجلنا على من ظلمنا ، لا على غيره كما تصنع الجاهلية من قتل من قتل من قبيلتهم وإن لم يكونوا أولياء الدم .

٣٥ — أثر القوة المعنوية فى النصر على العدو

الحمد لله ينصر من تمسك بهداه ، وعمل ما يرضاه جل علاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله : من قوى إيمانه ، وثبت عند القتال قلبه وتوكل عليه تعالى — كان معه وبلغه مناه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، نصره مولاه بقذف الرعب فى قلوب عداه ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين نصروا الحق ، فنصرهم الله .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا(١) وتذهب ريحكم(٢) واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً[٣] ورئاء(٤) الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

للنصر على العدو — مع مخادعته ، ومصادرة أمواله ، وكثرة العدد وقوة العدد فى قتاله — لابد من القوة المعنوية ، وأن تكون العزائم فتية ، والروح المعنوية قوية ، فالسيف لا يعمل فى يد

---

[١] فتجبنوا [٢] قوتكم
[٣] جحوداً النعمة [٤] قصد ثناء الناس .

الجبان ، وانما تفتك الأسلحة فى أيدى الشجعان وتبعد عار الهزيمة وتدفع ذل الخسران .

لذلك — فى تلك الآيات البينات — كلف الله المؤمنين المجاهدين فى سبيله ما فيه قوة عزائمهم وأرواحهم : أمرهم بالثبات أمام العدو ، وبذكره تعالى ، وبطاعته وطاعة رسوله ، ونهاهم عن التنازع والاختلاف ، وحثهم على الصبر ، وحذرهم من التشبه برجال قريش الذين خرجوا من مكة ، وقصدوا بدراً[١] ، بطراً ورئاء الناس مظهرين الفخر والاستعلاء بنعمة الغنى والقوة والرياسة ، غير شاكرين لأنعم الله ، وراغبين فى ثناء الناس عليهم بشجاعتهم وإعجابهم فانهزموا ودارت عليهم الدائرة — جزاء بطرهم وريائهم .

أيها المسلمون :

إن الثبات أمام العدو ، وعدم اليأس ، مهما اشتد البأس — قوة ، بها يقاتل المستبسل[٢] فينكسر ، ويضعف عزم العدو ، ويصاب بالرعب فينكسر ، ولذلك قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد ، « احرص على الموت توهب لك الحياة ، واذكر أن السلامة فى الإقدام ، والردى فى الإحجام » .

---

(١) تفصيل ذلك الموضوع فى كتابنا — البشرى بالجهاد وغزوة بدر الكبرى الذى تضمن كل مايهم معرفته فى تلك الغزوة .

(٢) هو الذى استقتل ، وهو أن يطرح نفسه فى الحرب ويريد أن يقتل أو يقتل لا محالة .

وإذا ذكر الجندى المسلم ربه وقت المعركة — قويت عزيمته ، وظهرت شجاعته ، ولاحت نصرته ، فقد ذكر العزيز الغالب الذى لا يغلب ، الذى عنده وحـــده النصر (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) ، وذكر صاحب القدرة التى لا تقاوم ، والتى بجانبها كل قدرة كالعدم ، وكل استعداد هين مهما عظم ، وذكر صاحب الوعد الذى لا يخلف : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ، وذكر المعظم ، الذى يذكر بعنايته ورعايته من يذكره بطاعته (فاذكرونى أذكركم) ، وذكر القوى الغنى ، الذى يعطى المؤمن الصالح سؤله : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

وطاعة المسلم فى الميــدان لقائده — طاعة لله ورسوله . قال صلوات الله وسلامه عليه(١) : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

وتقوى عزيمة المقاتل الذى أطاع الله ورسوله ونصر الدين ، لإيمانه بصدق وعـــد الله (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

ولا ينشر الخوف فى قلوب المجاهدين ، ويذهب قوتهم — شىء كتفرقهم واختلافهم ، واتحادهم قوة تنهض بنصرهم .

وما أحوج المجاهدين إلى قوة القلوب بالصبر والتواضع —

(١) رواه البخارى ومسلم .

وشكر النعمة والإخلاص لله — ليؤيدهم سبحانه وتعالى بنصره المبين.

وبالقوة المعنوية تنتصر الأمة، المتوكلة على ربها، فى قتال عدوها، الذى أعدت له ما استطاعت من قوة، وإن قل عددها، وكثر عدده، وعظم استعداده: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقد نصر الله — بغزوة بدر — النبى وصحبه، وهم قلة. على قريش وهم كثرة: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة (١) فاتقوا الله لعلكم تشكرون).

أيها المسلمون:

اتقوا الله فى الحرب والسلم، وامتثلوا ما أمركم به. وانتهوا عما نهاكم عنه. واعملوا على تقوية أرواحكم وعزائمكم وقلوبكم لنصرة الحق. واحذروا الجبن والضعف. واستمدوا العون من الله الواحد القاهر. وتوكلوا عليه والجئوا فى كل حال إليه — تفلحوا وتنصروا على الأعداء. وتنالوا الآمال.

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفى كل خير. واحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل، والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

---

(١) أذلة جمع ذليل، قاله تعالى — تنبيهاً على قلة المسلمين ببدر مع ذاتهم لضعف الحال وقلة السلاح.

٣٦ـ الحمد والشكر

(الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) وأشهد أن لا إله إلا الله — له الحمد فى الأولى والآخرة).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من أعطى فشكر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه طائفين الحامدين الشاكرين.

أما بعد، فقبيلة سبأ — أنعم الله عليهم — فقد كان مسكنهم «أرض مأرب» باليمن - نقى الجو - طيب الهواء - لا تعيش فيه الحشرات حتى إن من جاءه من خارج البلد - يحمل حشرات ماتت حشراته، وقد كان عامراً بالبساتين المثمرة دانية القطوف على يمين المسار وعن يساره - لدرجة أن المرأة - كانت تسير إلى منزلها - وعلى رأسها الوعاء فيمتلىء فواكه من غير قطف ولا قطع وقد كان بين مسكنهم - وبين الشام حيث كانوا يسافرون لقضاء مطالبهم قرى عامرة للمارة ظاهرة - فيها يبيتون ويقضون حاجاتهم - وكانوا فى أسفارهم آمنين مستريحين - فلم يقابلوا تلك النعم على عظمها بالشكر - ولم يديموها بطاعة الله، بل جحدوها ظالمين أنفسهم بمعصية الله فارتكبوا المنكرات - ولم يمتثلوا المأمورات فسلبهم الله نعمته - وبدلهم بحلو الثمار مر النبات ومالا ثمر له، وقليلا من النبق - ليتحسروا به على ما حرموا من أمثاله من طيبه

الثمار - وفرقهم فى مختلف البلاد - وأذاقهم عناء السفر - وجعل أمرهم عبرة للناس — ليستمسك العاقل بالصبر عن معصية الله - وبطاعته تعالى شكراً له على ما أعطاه .

وقد قص الله قصتهم فى القرآن الكريم قال الله تعالى (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم - فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) .

أيها المسلم :

إذا كنت ذا نعمة فارعها   فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله   فإن الإله سريع النقم

وإذا كان من قدم لك جميلا أو صنع لك معروفاً تشكره على ما فضل وتثنى عليه بما صنع — فإن رب العالمين رب الجن والإنس لا تحصى جمائله وصنائع معروفه معك (وما بكم من نعمة فمن الله) فكيف

لانشكره تعالى مع شكرنا لسواه - (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم) .

عباد الله :

نعم الله قد غمرتنا فى الصغر والكبر - يسبغها الله علينا من المهد إلى اللحد - وهى محيطة بنا - من بين أيدينا ومن خلفنا - ومن فوقنا ومن تحت أرجلنا وفى سمائه تعالى وفى أرضه - وفى أنفسنا وفى أهلينا .

وفى الظاهر والباطن ومنها مانعلم وما لا نعلم - فكيف نحصى ثناء عليه — سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك قلت فى فاتحة كتابك - (الحمد لله رب العالمين) وألهمت أهل الجنة يثنون عليك بذلك (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) .

وقال صلى الله عليه وسلم(١) : « والحمد لله تملأ الميزان » ولكثرة شكر نوح - أثنى عليه تعالى - بعد مكافأته بالعناية به ونصره . فقال : « إنه كان عبداً شكوراً » : كان عليه السلام لايحمل شيئاً ولايتناول شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا قال باسم الله والحمد لله . وقال صلى الله عليه وسلم(٢) « أول من يدعى إلى الجنة الحامدون قيل ومن الحامدون؟ قال الذين يحمدون الله على السراء والضراء » .

---

[١] جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه
[٢] رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى

وهكذا الحمد والشكر للمنعم على ما أنعم - سواء أكان قولا أو عملا أو تسبيحاً أو صلاة أو صدقة : لا يعود على الله من ذلك شيء كما لا تضره سبحانه المعصية — وإنما فائدة ذلك للعبد الشاكر .

وفى الحـــديث القدسى قال تعالى (١) (ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبـادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . . .)

ويا عبد الله :

إذا انتبهت لجميع النعم فحمدت الله وشكرت له تعالى على كل نعمة - كنت له تعـالى شاكراً على الدوام ، ولا تغفل عن نعمة أبداً وانتبـه .

رأى عبد الواحد بن زيد ، أحـد مشاهير الأولياء — رجلا مقطوع اليدين والرجلين ، والزنابير تنهشه ، والدمامل ملء بدنه ، وهو — مع ذلك يحمـــد الله ، فقال عبد الواحد عـــلام يحمد هذا ربه ؟

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه .

فقال الرجل : أكل النعم سلبتها ، ألم يجعل لى لساناً يذكره ، وقلباً يعرفه ويشكره؟ ثم أنشد :

حمدت الله ربى إذ هدانى   إلى الإسلام والشرع الحنيف
يمجده لسانى كل وقت   ويعرفه فؤادى باللطيف

والعبد الحامد الشاكر لربه جل شأنه - لا ينفق ماله - ولا يستعمل عقله وسمعه وبصره ويده ورجله ولسانه إلا فيما يرضى الله، والله تبارك وتعالى يقول (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واحمدوه شاكرين ، وأطيعوه بحسن المقال ، وشريف الخصال وصالح الأعمال — يزدكم نعماً على نعم ويحفظكم من النقم (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما) .

روى الطبرانى عن الفضل بن عمر رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت قال : بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره . . فقال ﷺ هذا الذى أردت منك .

٣٧ – رعاية اليتيم

الحمد لله الذى أوى حبيبه ، وأرسله بالمؤمنين رءوفاً رحيماً وأشهد أن لا إله إلا الله أودع قلوب المؤمنين ودا لأجله ورحمة ، فجعل اليتيم بينهم مرحوماً .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله المنزل عليه قوله جل علاه : ألم يجدك يتيماً فآوى ، وقوله . تبارك ، وتعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر » اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الرحماء .

أما بعد : فقد كان أبو جهل أحد رؤساء قريش والعدو اللدود للاسلام ورسوله ـ وصيا على يتيم : فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه ما يشترى به ثوباً يستره ، وطعاماً يرد جوعه فدعه ، ودفعه بعنف وشدة لقسوة قلبه على الضعيف والمسكين ، وفى الحديث النبوى الشريف(١) : (لا تنزع الرحمة إلا من شقى) فأنزل الله تعجيباً من حاله ، وزجراً عن مثل فعله ـ قوله سبحانه : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين »

عباد الله :

اليتيم هو ذلك الصغير الذى مات أبوه ، ولم يصل إلى سن البلوغ وإنه لضعيف يستحق العطف والرحمة ، لأنه فقد المعين المدافع ، الذى

(١) رواه الامام أحمد ، وابو داود والترمذى وغيرهم : عن أبى هريرة

يراه قطعة منه ، وهو كذلك فى الواقع ، فالأب يسعى على ولده ذكراً كان أو أنثى برغبة وبغير ضجر وتأفف ويدفع عنه السوء بكل إخلاص فإذا فقد الولد ذلك المعين المحب المخلص ، الذى يكد له ويكدح فى سبيل غذائه وكسائه ، ويحميه من كل ما يؤذيه ـ كان فى حاجة إلى من يخلف فقيده فى الولاية عليه ، والعناية بشأنه وقضاء حاجاته ، وتوفير ما يلزمه وإرشاده ، وهدايته سواء السبيل .

ولا نكران لخدمة الأم ، ولا جحود لرعايتها لولدها : إن حبها له واضح ، وإخلاصها فى معاملته عظيم ، وعطفها عليه لا نظير له ولكن كل هذا لا يخفى اليتم ولا يذهبه ، ولا يزيل ضعف اليتيم ، الذى يحتاج إلى الراعى الأمين الرحيم .

وقد يكون اليتيم وارثاً عن أبيه ثروة ، وربما كانت طائلة ، والمال يجعل صاحبه مرموقاً محترماً ، ولكن ذلك أيضاً لا يخفى اليتم ولا ضعف اليتيم ، الذى فقد من كان يمزه ، وهو به رءوف عطوف ، وربما كانت تلك الثروة سبباً فى زيادة إهماله وحرمانه ، فكم من يتيم لثروته سعى إليه الطامعون لا كلها ، ولم يحسن إليه المحسنون لأجلها ، واستغنائه فى نظرهم بها ، وأخبار الأوصياء الذين أكلوا أموال اليتامى كثيرة مشهورة وكم من ثروة يتيم بددها زوج أمه ، الذى ما تزوجها إلا من أجلها ، وإن الإسلام من ذلك براء ، وأكل مال اليتيم بلاء أى بلاء ، ولذلك يفر منه العقلاء .

روى أن رجلا من غطفان : إحدى القبائل العربية كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ ذلك اليتيم — طلب المال من عمه ،

ظلم بدفعه إياه ، فنزل قوله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً) : أى ذنباً عظيماً ، فلما سمعها العم — قال : أطعنا الله ورسوله ، نعوذ بالله من الحوب الكبير ، ودفع مال ابن أخيه له ، ويقول الله تبارك وتعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) ويقول سبحانه : (وابتلوا اليتامى) أى اختبروهم قبل البلوغ ، قال أبو حنيفة : بأن يدفع إليهم ما يتصرفون فيه — لمعرفة رشدهم ، وحسن تصرفهم من عدمه (حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً) فراعى مال اليتيم لا يأكل منه ما دام غنياً عنه ، ومن كان فقيراً أكل منه بقدر حاجته ، وأجرة سعيه لمصلحته ، فالمحافظة على مال اليتيم واجب : به عظيم الثواب ، ورضا الكريم الوهاب ، وأكلها ظلماً وعدواناً إثم كبير ، به انتقام القوى الجبار القائل : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) .

عبد الله :

اليتيم موصىً عليه من الله ، فلينتبه أوصياء اليتامى لذلك ، وليراقبوا الذى وصاهم ، وهو القوىّ المالك ، الذى لا تخفى عليه خافية : (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) .

وإن الإحسان إلى اليتيم ، ومعاملته برفق ولين والحنان عليه ،

وتعويضه عن فقد والده بجبر خاطره ، والمحافظة على ماله من الضياع والنقصان ، وتنمية ذلك المال — طاعة لله تكسب إحسانه ورضاه ، والله تعالى يقول :

(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) .

ومن أذل يتيماً أو آذاه بأذىً ما أو قسا عليه فى غير تربية وتهذيب كان شريكاً لأبى جهل فى قسوته على اليتيم ، وعرض ولده لمثل فعله ، والله تعالى يقول : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واعطفوا على اليتامى ، وعلموهم وأدبوهم ، وجالسوهم وآكلوهم — تنالوا الدرجات العلا فى الجنة ، وتحصنوا أولادكم وأموالهم بعناية الله ، واعلموا أن البركة فى طعام يشاركونكم فيه ، وفى معيشة يخالطونكم فيها ، واتكن وجهتكم فى تربيتهم الإصلاح المحض ، لمنفعتهم فى الدنيا والآخرة ، واحذروا أذاهم أو إهمال تربيتهم حرصاً على خير المجتمع والوطن .

وفى القرآن الكريم :

(ويسألونك عن اليتامى) أى عن مخالطتهم والاهتمام بأمرهم (قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم) لأوقعكم فى العنت والمشقة ، وكلفكم مايشق عليكم ، ولكنه لم يشأ ذلك رحمة بكم (إن الله عزيز حكيم) .

فتكليفنا برعاية اليتيم أمر ميسور ، والعناية به إرضاء للعزيز الغفور ، الذى جعل أحب خلقه وأفضل رسله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ينشأ يتيماً ، ليذوق طعم اليتم ، فيكون فى الدعوة إلى العناية باليتيم عليماً خبيراً كما أن قلبه الذى أحس اليتم — يعطف على اليتيم عطفاً كبيراً .

وقد لقى صلى الله عليه وسلم صغيراً يبكى فى يوم عيد ، فسأله عن سبب بكائه ، فقال له : مات أبى ، فأنا يتيم ، فقال له صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن أكون لك أباً ، وعائشة أماً ، وفاطمة أختاً ، ففرح الصبى ، وانشرح صدره ، ونسى يتمه .

فيالها من مكرمة جبرت الخاطر ، وبددت الهم ، وانتبهوا واسمعوا وعوا وانتفعوا .

قال رجل ليعقوب رسول الله عليه السلام : ما الذى أذهب بصرك وحنى ظهرك ؟ قال : أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف ، وأما الذى حنى ظهرى فالحزن على أخيه بنيامين ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : أتشكو الله ؟ قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، قال جبريل : الله أعلم بما قلت منك ، ثم انطلق جبريل ، ودخل يعقوب بيته فقال : أى رب . أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصرى وحنيت ظهرى فاردد على ريحانتى فأشمه شمة واحدة ثم اصنع بعدى ما شئت ، فأتاه جبريل . فقال : يا يعقوب إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقربهما عينيك ، ويقول لك يا يعقوب

أتدرى لم أذهبت بصرك ، وحنيت ظهرك ولم ، فعل إخوة يوسف بيوسف ما فعلوه ؟ قال : لا . قال : إنه أتاك يتيم مسكين ، وهو صائم جائع ، وذبحت أنت وأهلك شاة ، فأكلتموها ، ولم تطعموه ، ويقول : إنى لم أحب من خلقى شيئاً حبى اليتامى والمساكين .

فاعتبروا يا أولى الأبصار .

روى البخارى وأبو داود والترمذى عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا أو شار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) .

وروى الطبرانى فى الأوسط والأصبهانى عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم شيطان) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال :

أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه . قال : أتحب ان يلين قلبك وتدرك حاجتك : ارحم اليتيم ، وامسح راسه . وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك . رواه الطبرانى .

٣٨ – تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة

خير هدية فى امتحان الحياة

الحمد لله الحى القيوم . الذى بيده الشدة والرخاء القائل : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : له الحول والطول ، بيده ملكوت كل شىء وهو الغنى الكريم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من عرف حق الله ، وتقرب بطاعته تعالى من رحمته ورضاه ، فكان خير قدوة للسير على الصراط المستقيم ، وقد أثنى عليه تعالى بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين عرفوا الله بطاعته فى الرخاء ، فوجدوه خير عون لهم عند الشدة والبلاء .

أما بعد : فيا عباد الله :

الحسن البصرى أحد كبار التابعين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنكر على الحجاج والى العراق ظلمه للناس ، فأرسل الحجاج إليه الشرطة لتأتى به إليه ، فلم يتزعزع إيمانه ، واختفى ببيت حبيب له : أخذاً بأسباب الوقاية المشروعة ، ودخلت الشرطة هذا

البيت على أثره ، فعرفه الله فى هذه الحال الشديدة عليه إذ تعرف إليه تعالى بالإيمان والطاعة فى رخائه : وقت أمنه ، فطمس سبحانه على أعين الشرطة ، فلم يروه ، وما ضره الحجاج بشىء ، ولقد كان بعد ذلك يكرمه إكراماً شديداً .

عباد الله :

من الناس من قوى إيمانه بالله — فهو — مع الله — أينما كان ، وحيثما حل ، يعبده بالفرض وبالنفل ، ويشكر له — بذلك على الدوام ، ويذكر فضله ونعمه ، لا تقنطه المصائب والبلايا ، ولا تبطره النعم والعطايا . وقد قال صلى الله عليه وسلم(١) : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء ـ شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) .

وفى هذا الصنف من الناس ، وفى عقباه — قال تعالى فى الحديث القدسى(٢) (ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه : من صهيب : رضى الله عنه .

(٢) جزء من حديث رواه البخارى فى صحيحه : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : عن الله عز وجل .

ومن الناس من ضعف إيمانه ، وغفل عن طاعته تعالى ، وهي وظيفته التي خلق من أجلها ، فلا يذكر الله إلا إذا نزلت به نازلة ، أو حلت به ضائقة : من ظلم أو فقر أو مرض ، أو عرضت له حاجة يرجو قضاءها . وحينئذ يسرع إلى الله باكياً ، نادماً على مافرط في حق الله مستغفراً تائباً ، معاهداً ربه أن يكون عبداً على الدوام ، ملحاً في الدعاء قائلا : لئن أنجيتني من هذه - حالى الشديدة - لأكونن من الشاكرين ، والله الغنى الكريم ، الذى يعلم ما يظهر العبد وما يبطن - قد يتفضل عليه بالإجابة : ليكشف مبلغ إيمانه وغروره بنفسه وما انطوى عليه قلبه من نفاق وكذب وخداع حيث ينكص على عقبيه ، بعد أن أنجاه الله ونسى ما كان يدعو إليه من قبل ، وأخلف الله ما وعده وعاد سيرته الأولى : من غفلة وعصيان ، ونكران الجميل والإحسان . وصدق فيه القول :

صلى وصام لأمر كان يطلبه لما انقضى الأمر لاصلى ولا صاما

وما أسوأ عقبى هذا الصنف من الناس : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .

ويا قـوم :

ما أكثر هذا الصنف بيننا اليوم : ومنه بعض طلبة العلم : يقضون أكثر عامهم غارقين فى غوايتهم ، غافلين عن دروسهم ، متهاونين بالقيم

الخلقية والدينية ، متحللين من التكاليف السماوية ، حتى إذا ما جاءتهم أيام الامتحان — وجدناهم يهرعون إلى المساجد بكتبهم . يستلهمون الله فيما عسى أن يكون موضع أسئلتهم ، وقد يسوقهم اضطرابهم إلى الأفاكين : من المنجمين والمنومين ومن على شاكلتهم ، ويكثرون التضرع والصلاة والدعاء ، وقد يبكون ، والله يعلم ما يبدون وما يكتمون (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) .

فإذا ما انتهى الامتحان ، وظهرت النتائج ، وكانت في مصلحتهم — انطلقوا في ميادين الهوى والغواية ، وكادوا يقولون : نجحنا بجدنا واجتهادنا ، ونسوا فضل الله عليهم ، وأنه ، وهو — الذى — علم الإنسان مالم يعلم — وفقهم وهداهم وألهمهم الصواب (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) وإذا كانت النتيجة على عكس المراد — كفروا بأنعم الله ، وسخطوا على قضائه وقدره ، وتقاعدوا عن العبادة ، وقد يوسوس لهم الشيطان بأن العبادة هى السبب فى رسوبهم ، وفى هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) .

عباد الله :

العلم النافع هو العلم بالله ، وهو نور من الله ، ونور الله لا يهدى لعاصى (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

والعلم النافع يبعث على تقوى الله ، والعبد إذا اتقى الله ، وحفظ حدوده وراعى حقوقه فى حال رخائه . وصحته وأمنه وهدوئه — فقد تعرف — بذلك — إلى الله ، فعرفه سبحانه فى حال الشدة ونجاه .

ومن تقوى الله — أن التلاميذ — مع الاستقامة وطاعة الله — يحرصون على المذاكرة من أول العام الدراسى ، ولايفرطون فى تحصيل العلم وقت طلبه على وجه خاص ، حتى إذا سألوا الله النجاح فى الامتحان — استجاب لهم : قال رسولنا صلى الله عليه وسلم(١): «ومن سره أن يستجيب الله له فى الشدائد — فليكثر من الدعاء فى الرخاء» .

ومن تقوى الله — أيها الآباء — أن توجهوا أولادكم ، قبل كل شىء إلى الواجب عليهم نحو خالقكم وخالقهم ، وأن تصحبوهم معكم إلى بيوت الله ، وترشدوهم إلى حضور مجالس العلم . ومدارسة القرآن الكريم ، والاستمساك بتعاليم الإسلام ، فذلك خير وقاية لهم من الضلال والإلحاد ، والانحراف والفساد ، وأديموا — أيها الآباء — نصح الأبناء بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكونوا لهم - قدوة صالحة - يسمعوا نصحكم ، فهم ظلكم .

وفى صلاح البنات والأبناء — خير ذكرى للأمهات والآباء ، وحسن الجزاء .

وقد قال الرسول : صلى الله عليه وسلم ، وهو الأسوة الحسنة : على

---

١) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الإطلاق(١) : (اتقى الله يافاطمة ، وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك ، وإذا أخذت مضجعك — فسبحى ثلاثاً وثلاثين ، واحمدى ثلاثاً وثلاثين ، وكبرى أربعاً وثلاثين ، فتلك مائة : خير لك : من خادم) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واعلموا أن الحياة كلها ـ امتحان : خيرها ـ امتحان ، وشرها ـ امتحان : قال تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) فليست الشهادة المطلوبة ـ لطالب العلم ـ حداً ، ينتهى عنده الامتحان والنجاح ـ فى امتحانات الحياة من عند الله ـ يناله من استحق رضاه ، واتقاه فى السر والعلن ، فى كل آن ، فإذا تعرفتم إليه تعالى ، فى الشدة ، فأنجاكم ، وحقق رجاءكم ـ فلا تنسوه : تعالى : فى وقت الرخاء ، وكونوا له : بالطاعة : على الدوام ـ شاكرين ، لتدوم لكم نعمة النجاة ، وتفوزوا ـ على الدوام ـ بالنجاح ، ورضاه : جل علاه : (وسيجزى الله الشاكرين) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء — يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك — لم يكن ليصيبك ، وما أصابك — لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً) : رواه عبد بن حميد ، والإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

[١] رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأبو داود فى سننه . والترمذى فى سننه عن على رضى الله عنه . وكرم الله وجهه .

٣٩ ــ المحافظة على الصلاة

الحمد لله : الذى جعل الصلاة عماد الدين ، ووعد المصلين أجراً عظيماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله : الملك المعبود ، الذى له وحده الركوع والسجود ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : خير المصلين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حافظوا على الصلوات ، ففازوا بالسعادة ورفعة الدرجات .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) .

فى تلك الآية الشريفة : يأمرنا الله عز وجل وعز بالمداومة على الصلوات الخمس ، وأدائها لوقتها(١) ، وخاصة صلاة العصر ، ويأمرنا بالخشوع فيها .

عباد الله :

الصلاة أعظم أعمال الإسلام : من حافظ عليها سعد وربح ، ومن أضاعها شقى وخسر .

فرضها الله على عباده المؤمنين ، لتكون صلة بحضرته وتذكيراً بعظمته ، وشكراً له على نعمته ، لذلك كانت أساس الفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢)

---

(١) قال تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) أى فرضة محدود الأوقات .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .

ولا عجب أن تكون الصلاة عنوان العمل ، فإن المداومة على أدائها كاملة بخشوع وخضوع لله تعالى — تغرس فى النفس مراقبته عز وجل ، ومن راقبه جل علاه — خشيه واتقاه ، وأقبل على ما فيه رضاه ، فصدق إذا حدث ، ووفى إذا وعد ، وأدى الأمانة ، وصبر عند النقمة ، وشكر عند النعمة . قال تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون) .

ومن راقبه جل شأنه — امتنع عما يغضبه ، فلم يزن ، ولم يراب ، ولم يحقد ولم يماطل فى حقوق الناس ، ولم يضيع حقوق أهله وعياله وجيرانه وأقاربه ومواطنيه . قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، ومن لم يخشع فى صلاته ، ولم تنغرس فى نفسه مراقبة الله — كان عاصياً واستحق عذاب الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » .

ومن رحمته تعالى — جعل الصلاة فى خمسة أوقات . تيسيراً على عباده . وتزكية لمن يخشى . وتذكرة لمن ينسى . فالعبد المحافظ على أداء الصلاة كاملة - لا يغفل عن مراقبة الله ، بالاشتغال بأعمال الحياة .

وإن من حافظ على أداء الصلاة بخشوع — غفر ذنبه وأحبه

---

(١) رواه ابن جرير .

وبه . قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه(١) : « إن كل صلاة تحط ما بين(٢) يديها من خطيئة » . وقال صلى الله عليه وسلم(٣) : « من علم(٤) أن الصلاة حق مكتوب واجب دخل الجنة » .

ومن لم يحافظ على الصلاة — حرم في الدنيا نعمة البركة في العمر والتوفيق للخير . وعذب بعد الوفاة بكسر رأسه بصخرة : كلما كسر عاد كما كان . وجاء يوم القيامة بلا نور . وبغير برهان على الإيمان — فحرم النجاة من العذاب والذل والهوان .

أيها المسلمون :

اتقوا الله وحافظوا على الصلوات . وأدوها لله في أوقاتها خاشعين . ولا يمنعكم من أدائها برد ولا عمل . وجاهدوا أنفسكم حتى لا تهملوا أداء صلاة الصبح لوقتها حيث يحلو النوم والكسل . وحتى لا تهملوا أداء صلاة العصر حيث شدة التأثر بالعمل . واحذروا أن يشغلكم عن الصلاة المال والتجارة . أو الجاه والملك والحكم والوزارة . وكونوا ممن قال الله تعالى فيهم : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

روى الإمام أحمد ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وابن

---

[١] رواه أحمد

[٢] أي الذي وقع قبلها من خطيئة . [٣] رواه أبو يعلى .

[٤] أي وعمل ، فمن لم يعمل بعلمه فليس بعالم حقاً بل هو منزل منزلة الجاهل وطلبه أحمد .

حبان فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوماً، فقال : «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع(١) قارون وفرعون وهامان وأبى ابن خلف» .

وروى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من صلى البردين — أى الصبح(٢) والعصر — دخل الجنة» .

وروى البخارى ومسلم . عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه(٣) شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) وروى مسلم والترمذى وغيرهما ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة — كفارة لما بينهن مالم تغش(٤) الكبائر) .

---

(١) وإنما حشر من لم يحافظ على الصلاة مع هؤلاء المذكورين ، لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون ، فيحشر معه أو بملكه ، أشبه فرعون ، فيحشر معه ، أو بوزارة أشبه هامان ، فيحشر معه ، أو بتجارة أشبه أبى بن خلف ، تاجر كفار مكة ، فيحشر معه .

(٢) قيل إن الصبح والعصر — صلاتا البردين ، لأنهما يفعلان فى وقت البرد وقال الخطابى : لأنهما يصليان فى بردى النهار . وهما طرفاه . حيث يطيب الهواء . وتذهب سورة الحر . أى حدته وشدته .

(٣) الدرن : الوسخ .

(٤) أى ما لم تؤت الكبائر . فالذنوب الصغائر تكفرها الصلوات الخمس والجمعة . وأما الكبائر فإنما تكفرها التوبة أو رحمة الله وفضله .

٤٠ – الحث على إيتاء الزكاة

الحمد لله وعد المنفق من ماله فى سبيله ، أن يغفر له ذنبه ويزيده من فضله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الغنى المنان ، العظيم الإحسان وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قال : (١) « لو علم الله أن زكاة الأغنياء لاتكفى الفقراء لأخرج لهم من غير زكاتهم ما يقويهم ، فإذا جاع الفقراء فيظلم الأغنياء لهم » اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة . وآتوا الزكاة فعاشوا أحياء ، وفارقوا الحياة سعداء .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

عباد الله :

فرض الله الزكاة ، تطهيراً للأغنياء من رذيلة البخل ، وللفقراء من رذيلة الحقد . حتى يعيشوا جميعاً فى وطنهم متعاونين متحدين متحابين . آمنين مطمئنين . أقوياء . يرهبهم الأعداء . وبذلك يتفضل عليهم الله بتزكية حسناتهم وتنميتها ورفع درجاتهم عنده تعالى : ومن أدى الزكاة – زاد الله ماله لشكره له (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) .

ومن أدى الزكاة – حفظ ماله من الضياع والتلف : قال الرسول

---

(١) رواه أبو هلال العسكرى .

صلى الله عليه وسلم :(١) « حصنوا أموالكم بالزكاة » .

وقد توعد سبحانه مانع الزكاة بعقاب شديد ، يحذره العاقل الرشيد : قال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

أيها المسلم :

إنك فى جميع تصرفاتك فى الحياة ، من بيع وشراء ونحو ذلك تنفق مالك فتهلكه ، ولكنك حين تؤدى زكاة مالك أو تجارتك أو زرعك - تنفق مالك فتدخره (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) .

وإنك فى تصرفاتك الدنيويه — تضع يدك فى يد المخلوق ، ولكنك حين تؤدى الزكاة — تضع يدك فى يد الخالق جل علاه (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) .

أيها الموسرون :

اذكروا نعمة الله عليكم ، وأدوا للمحتاجين ما أوجبه سبحانه من زكاة أموالكم ، وما تفضل به عليكم به عليكم (آمنوا بالله ورسوله

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما من حديث من جماعة من الصحابة : هو : (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة . واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع) .

وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً(١) أقرع(٢) له زبيبتان(٣) . يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه . يعنى شدقيه . ثم يقول : أنا مالك . أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآيه : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) .

وروى ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أديت الزكاة — فقد قضيت ما عليك ومن جمع مالا حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره(٤) عليه).

---

[١] الحية الذكر ، وقيل مطلقا .
[٢] هو الذى ذهب شعر رأسه من طول عمره .
[٣] هما الزبدتان فى الشدقين وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه
[٤] أى ذنبه .

٤١ — فضل ليلة النصف من شعبان

الحمد لله : أعز الطائعين بعزته ، وأنار قلوبهم بأنوار محبته ، وتفضل عليهم فى مواسم رضاه بعظيم رحمته ، وأشهد أن لا إله إلا الله : أعد فى الجنة لعباده الصالحين ، مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : إمام الهداة ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، التائبين العابدين الحافظين لحدود الله .

أما بعد ، فقد قال أسامة بن زيد رضى الله عنهما : قلت : يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم ،(١) .

وقد اختص الله ليلة النصف من ذلك الشهر المبارك بفضل ، وجعل فيها للعمل الصالح خصوصية ، وللدعاء مزية : قالت(٢) أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك ، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ،

---

(١) رواه النسائى .

(٢) رواه البيهقى .

وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع رأسه من السجود ، وفرغ من صلاته قال : يا عائشة(١) ، أظننت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خاس بك؟ — أى غدر بك ، ولم يوفك حقك ، وذهب فى ليلتك إلى غيرك — قلت : لا والله ، يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت ، لطول سجودك . فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم : قال : هذه ليلة النصف من شعبان . إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين . ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

أيها المسلمون :

فى ليلة النصف من شعبان — يتجلى سبحانه وتعالى بألطافه على أحبابه . والمتعرضين لنفحاته من عباده . فيغفر للمستغفرين المؤمنين التائبين المهتدين . الذين يعملون الصالحات ، ويرحم المسترحمين . الذين يرجون رحمته تعالى . ويرحمون خلقه . ويتقبل جل وعلا دعاء المتقين . ولا ينظر الله فى تلك الليلة السعيدة إلى المشركين وقساة القلوب . ومرتكبى الذنوب . وأهل الحقد والبغضاء والخصام والشحناء . والكبر والخيلاء . وقاطعى الرحم . ومدمنى الخمر . وقاتلى النفس ، التى حرم الله قتلها ، والعاقين لوالديهم . ولا يبالى سبحانه وتعالى بما تتحرك به ألسنة هؤلاء من دعاء .

عباد الله :

اتقوا الله . وتوبوا إليه وطهروا قلوبكم من الحقد والحسد

---

(١) أو يا حميراء تصغير حمراء : شك راوى الحديث . هل قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا اللفظ أو ذاك .

واجتنبوا الحرام . وانبذوا الخصام . وأحيوا ليلة النصف من شعبان بطاعة الرحمن — يستجب سبحانه دعاءكم . وتفوزوا بخير عظيم . وانتبهوا لقول الله تبارك وتعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن(١) وقاتل نفس » .

وروى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى جبريل عليه السلام ، فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب(٢) : لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل(٣) ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر » .

---

(١) معاد ومخاصم .
(٢) اسم قبيلة .
(٣) الذى يرخى ثوبه ويجره عجباً وترفعاً على الناس .

٤٢ – إرشاد الصائم

الحمد لله : فرض الصوم ، لتقوى به النفس على جهاد الشيطان ، وأشهد أن لا إله إلا الله : تفضل على الصائمين القائمين بالغفران . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل من صام وقام ، وأرضى الملك العلام ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين صانوا صيامهم عن اللغو والكذب فنالوا أعلى الرتب .

أما بعد فقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

أيها المسلم :

فرض الله الصيام ليفوز الصائمون بتقواه ، وليغنموا بالتقوى محبته تعالى ورضاه ، وإنما ينالون ذلك الفضل الأجزل إذا صاموا على الوجه الأكمل ، واتبعوا الرسول فى القول والعمل فحافظوا على الصلوات ، وحرصوا على الجمعة والجماعات ، واجتنبوا السيئات ولم يعملوا غير الصالحات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) « ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو(٢) والرفث (٣) فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل : إنى صائم إنى صائم » ، وقال صلوات الله وسلامه عليه (٤) « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم .
(٢) الباطل (٣) الفحش
(٤) رواه البخارى . وأبو داود . والترمذى والنسائى .

حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » وقال صلى الله عليه وسلم(١) : « الصوم جنة – وقاية من المعاصى الموصلة إلى النار – ما لم يخرقها(٢) بكذب أو غيبة » .

عباد الله :

الصوم الذى يقبله الله . وينيل رضاه . أساسه فعل الواجبات . وترك المحرمات . وروحه مراقبة الله فى جميع الحالات . وغايته مخالفة النفس الخبيثة . وعصيان الشيطان الرجيم . والصائم حقاً من خاف الله فى عينه . فلم ينظر بها نظرة محرمة . واتقاه فى لسانه . فكفه عن الكذب والغيبة والنميمة . وخشى الله فى أذنيه فلم يستمع بهما لمنكر . وخشيه تعالى فى يديه . فنعهما عن السرقة والغصب والغش والإيذاء . وخشيه سبحانه فى رجليه . فلم يمش بهما ليرتكب ضرراً أو فحشاء . واتقاه جل شأنه فى قلبه . فطهره من الحقد والحسد والغل والبغضاء . وراقبه عز وجل . فتطهر من الكبير والسخرية بالضعفاء . والاستهزاء بالفقراء .

فالصائم حقا من صام . واعتقد أن أعضاءه أمانات عنده يحاسبه عليها الخبير العلام . فاستعملها فى الطاعات وكفها عن الآثام . واجتنب فى فطره وسحوره الغذاء الحرام . وقام ليالى رمضان خير قيام : يصلى ويقرأ القرآن . ويحسن إلى المحتاج . ويرعى الأيتام

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) أى الصائم عن الطعام والشراب ونحوهما وعن الوطء .

ذلك هو الصائم الصادق الذى أرضى ربه . فأحبه وغفر له ذنبه . وأعد له أجراً عظيماً .

أيها المسلمون :

اتقوا الله . وليكن كل منكم ذلك الصائم الصادق ، واغتنموا أوقات رمضان . وأكثروا فيها من فعل الخيرات والإحسان . وابعدوا عن العصيان (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) .

روى ابن حبان فى صحيحه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغى له أن يتحفظ كفر ما قبله » .

وروى الطبرانى ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً . وحضر رمضان : (أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه . فينزل الرحمة . ويحط الخطايا . ويستجيب فيه الدعاء . ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه . ويباهى بكم ملائكته . فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل) .

٤٣ — فضل ليلة القدر

الحمد لله ، شرف العشر الأخير من رمضان بليلة القدر ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يغفر ذنوب من أحيا ليلة القدر بطاعته ، ويضاعف له الأجر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من أرضى مولاه ، وجد فى فعل الخير ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما ، فى بيان كيف نزل القرآن : أنزله سبحانه وتعالى — بتمامه ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم(١) إلى الأرض مفرقاً على حسب مقتضيات الوقائع والأحوال .

وقال مجاهد : قيام ليلة القدر ، والعمل فيها — خير من عبادة ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر ، وفى ليلة القدر تنزل الملائكة والروح — جبريل عليه السلام — معهم (بإذن ربهم من كل أمر) قضاه(٢) سبحانه وقدره فى تلك السنة إلى العام المقبل .

---

(١) أنزله سبحانه وتعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم الى الأرض فى ثلاث وعشرين سنة .

(٢) ينبغى أن يعلم أنه ليس معنى قضاء الأشياء وتقديرها فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شئونها وأحوالها : فإن ذلك —

وليلة القدر كلها خير وبركة وسلام ، وقد اختارها الحكيم العليم ، لنزول أول ما نزل من القرآن ، على رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءه جبريل عليه السلام ، وهو فى خلوته بغار حراء(١) ، بقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

أيها المسلمون :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف فى المسجد ، فى العشر الأواخر من رمضان ، وقالت عائشة رضى الله عنها(٢) : «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد(٣) مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» .

فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك حرصاً على الجزاء العظيم الذى يعطيه الغنى الكريم من يطيعه ويعمل الصالحات فى ليلة القدر سيدة ليالى رمضان التى ازدادت شرفاً بنزول القرآن كلام الرحمن

أزلى ، سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ، ليضبطوها فى صحفهم . ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

(١) جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال . والغار ثقب فيه . ولفظ حراء يراد به المكان فيذكر . ويراد به البقعة فيؤنث . ولذلك يجوز أن يصرف . وأن يمنع من الصرف .

(٢) رواه البخارى .

(٣) المئزر : الإزار . وشد المئزر كناية عن الجد والاجتهاد . أو اعتزال النساء . والإزار هو ما يستتر به من السرة إلى الركبة .

الحصن الحصين من الشيطان ، والكتاب الذى تعمر به الدنيا ، وينال به السعيد الموفق للخيرات حسن ثواب الآخرة .

وإذا كانت الدول الراقية تتخذ وقت إعلان دستورها عيداً ، فحرى بالمسلمين أن يتخذوا ليلة القدر عيداً ، لنزول القرآن فيها ، وهو خير دستور : إنه يكفل العزة والسعادة ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويحقق الأمن والسلام ، والمحبة بين الأنام .

فليقتد المسلم السعيد ، العاقل الرشيد برسوله الهادى إلى الصراط المستقيم ، وليحى ليلة القدر ، عامراً أوقاتها ، بالصلاة وقراءة القرآن ، وذكر الله ، وفعل الخير والإحسان ، والدعاء بالعفو والغفران ، : قالت (١) عائشة رضى الله عنها : يارسول الله ، إذا وافيت ليلة القدر فبم أدعو ؟ قال : قولى : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » ، وقال صلى الله عليه وسلم(٢) « من صلى ليلة القدر العشاء والفجر فى جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر » .

وليحتفل المسلم اليقظ الوفى فى ليلة القدر — بإعلان فضل القرآن ، والاجتماع لمدارسته — سعياً إلى عزة الإسلام والمسلمين .

عباد الله :

اغتنموا الفرصة ، وأحيوا ليالى العشر الأخير من رمضان

---

(١) رواه أحمد والترمذى .

(٢) رواه الخطيب فى تاريخه .

بعمل الصالحات . والتخلق بمكارم الأخلاق . والتحلي بجميل الصفات . وحثوا أهلكم على إحيائها — تنالوا جميعاً ثواب ليلة القدر . وتحوزوا غاية الفضل والإكرام .

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر(١) من العشر الأواخر من رمضان » .

وروى البخارى ومسلم أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر إيماناً(٢) واحتساباً(٣) غفر له ما تقدم من ذنبه » .

---

(١) أى ليالى الوتر ، وهى إحدى وعشرون ، وثلاث وعشرون وخمس وعشرون ، وسبع وعشرون ، وتسع وعشرون .

(٢) أى تصديقاً بأن قيامها حق وطاعة.

(٣) ادخاراً للاجر عند الله ، لا يرجو ثواب الدنيا .

٤٤ — الحث على الحج

الحمد لله : ألزم حج بيته من استطاع إليه سبيلا ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يمنح رضوانه من أخلص له فى الطاعة ، ويعطيه أجراً جزيلا ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من حج واعتمر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، الحبيب الشفيع يوم المحشر وعلى آله وصحبه ، البررة الكرام .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر(١) فإن الله غنى عن العالمين) .

أيها المؤمن :

شرف الله البيت الحرام على سائر الأماكن ، وفرض حجه على من استطاع ، ليتعارف المسلمون ، ويتحدوا ، ويكونوا — وقد جمعتهم عبادة واحدة ، على دين واحد ، فى أرض واحدة — على قلب رجل واحد ، ولا يتفرقوا ، مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم ، وتباعدت أوطانهم ، وتباينت عاداتهم ، وليتشاوروا فيما يسعدهم ويهمهم ، ويتبادلوا المنافع ويستفيد كل منهم ماعند الآخر من علم نافع ، وصناعة مفيدة ، وخصلة محمودة ، ويعطف غنيهم

---

(١) وضع من كفر موضع من لم يحج ، تأكيداً لوجوب الحج وتغليظاً على التارك ، فليتنبه لذلك من استطاع أن يحج . وليسارع إلى الحج .

على فقيرهم ، وصحيحهم على مريضهم ، فيعيشوا أقوياء ، ترهبهم الأعداء ، وفى القرآن الكريم ، يقول العليم الحكيم : (وأذن(١) فى الناس بالحج يأتوك رجالا(٢) وعلى كل ضامر(٣) يأتين من كل فج(٤) عميق - ليشهدوا منافع لهم) .

ودعا الله المستطيعين من عباده ، لحج بيته المحرم ، قبلة المسلمين ، ليمتعهم برياضة بدنية وروحية ، وليعمهم بالغفران ، ويشملهم بالإحسان : قال الرسول عليه الصلاة والسلام:(٥) « من حج لله فلم يرفث(٦) ولم يفسق(٧) رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، وقال صلوات الله وسلامه عليه(٨) « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل وما بره ؟ قال إطعام الطعام وطيب الكلام » وقال صلى الله عليه وسلم(٩) « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم » ، وقال(١٠) « الصلاة فى المسجد الحرام تماثل ألف

---

(١) وأعلم .

(٢) مشاة : جمع راجل .

(٣) مهزول : هزله السفر ، ويقال بعير ضامر ، وفرس ضامر .

(٤) طريق بعيد .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) الرفث : الفحش فى الكلام .

(٧) الفسوق : الخروج عن حدود الشريعة .

(٨) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والحاكم مختصراً ، ومن طيب الكلام إفشاء السلام . وقد ورد ذلك اللفظ فى رواية لأحمد والبيهقى .

(٩) رواه البزار .

(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير .

صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة) .

والناس فى الحج أشبه بالموتى : يفارقون أموالهم وأهليهم ، وينتقلون إلى غير ديارهم متجردين عن زينة الحياة الدنيا ليس على الواحد منهم إلا إزار(١) ورداء ، لافرق بين جليل وحقير ، وكبير وصغير ، وغنى وفقير ، والكل خاضع لله ، خاشع لمن لا معبود سواه . يتضرع إليه . ويقول :(٢) « لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لاشريك لك » : هنا لك تتواضع النفوس . وتعلم أن زخرف الدنيا باطل . وتشعر بالمساواة ، وأنه لايليق الاستكبار والاستعلاء بمال ولا جاه . وتنتبه لقول الله : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .

أيها المسلمون :

لفوائد الحج الكثيرة ، وحسناته الموفورة — حجوا وأرضوا ربكم ، مادمتم مستطيعين ، واسعدوا بزيارة المصطفى سيد الأولين والآخرين ، و ستمروا على طهارتكم من الذنوب بعد الحج

---

(١) الازار : هو ما يلف به النصف الأسفل من البدن . والرداء : هو ما يلف به النصف الاعلى منه دون الرأس .

(٢) قال الزمخشرى معنى لبيك أى دواماً على طاعتك . واقامة عليها مرة بعد أخرى .

والزيارة — تعيشوا فى مسرة . ونجاة من المضرة (والله ولى المتقين)

روى ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فإذا وقفوا بعرفات باهى الله تعالى بهم ملائكته يقول انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً(١) غبراً أشهدكم أنى غفرت لهم ذنوبهم وإن كان عدد قطر(٢) السماء ورمل عالج(٣) وإذا رمى الجمار لم يدر أحد ماله حتى يوفاه يوم القيامة وإذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة فإذا قضى(٤) آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

روى ابن خزيمة فى صحيحه والدارقطنى وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(٥) « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

وروى البزار والدارقطنى وغيرهما عن حاطب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى البيهقى وغيره عن عمر رضى الله عنه . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من زار قبرى أو قال : من زارنى — كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين — بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة » .

---

(١) واحد شعث : أشعث ، وواحد غبر : أغبر ، وهو أشعث أغبر أى من غير استعداد ولا تنظف (٢) مطر

(٣) موضع به رمل ، ويتصل اتصالاً كثيراً ، حتى قال البكرى ، رمل عالج محيط بأكثر أرض العرب . (٤) أدى (٥) صحح هذا الحديث كثير من الأئمة

٤٥ – خطبة عيد الفطر

يذكر الخطيب : (الله أكبر) تسع مرات منفردة – ثم يقول :
الله أكبر ما فاز الصائمون برضا الرحمن ، الله أكبر ما صفت النفوس بالطاعة فى رمضان ، الله أكبر ما حج من صفا بالصوم ونال الغفران ، الله أكبر ما تعاطف المسلمون ، وتلاقوا بالمسرة والمحبة والمصافحة والسلام .

سبحان من خلق الخلق بقدرته . سبحان من دبر شئونهم بعلمه وحكمته . سبحان من تفضل على المؤمنين برحمته . سبحان من أوجب الفطر فى هذا اليوم وحرم الصيام .

الحمد لله : خالق الأيام والشهور والأعوام وأشهد أن لا إله إلا الله شرع عيد الفطر عقب رمضان ، إحساناً إلى من صام وقام وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله . خير من أرضى العزيز العلام . اللهم صل وسلم على سيدنا محمداً ، وعلى آله وصحبه ، البررة الكرام .

أما بعد فقد قال الله تعالى : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى) .

أيها المسلمون :
هذا اليوم المبارك يوم بر ونعمة . ويوم سلامة ورحمة . فيه يحمد المسلمون ربهم الذى هداهم للاسلام . ويشكرون له تعالى على توفيقهم لإتمام فريضة الصيام . وينفقون فيه مما أنعم الله عليهم ،

على أنفسهم وأهليهم ، والمحتاجين منهم ؛ ويسعون إلى نشر السرور بينهم ، ويغدون ويروحون فى مظاهر النعيم ، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

واعلموا — أيها السعداء — أن العيد شرع ، ليجدد المسلمون فيه عهد الصفاء والإخاء ، فلا يليق فيه الخصام والغل والحقد والحسد والإيذاء ، وكان سلفنا الصالح رضى الله عنهم — يتصالحون يوم العيد ويحيى بعضهم بعضاً ، ويتبادلون التهنئات فى سرور ، وانشراح صدور ، وكانوا سمحاء ، أهل تعاطف وتواد ، وتزاور وتحاب . وكانوا فى دينهم أقوياء ، لا يميلون مع باطل الأهواء ، ولا يستبيحون الرذائل والمنكرات ، ولا يشربون الخمور ، ولا يرتكبون الفجور . فكونوا — يا قوم — مثلهم ، ليكون العيد جميلا بتقوى ربكم ، والذى يليق بالمسلمين فى عيدهم أن يبروا الأمهات والآباء ، ويحسنوا إلى الفقراء ، ويصلوا الأرحام ، ويواسوا الأرامل والأيتام .

وفى إخراج زكاة الفطر مواساة المحتاجين ، وإغناؤهم عن السؤال فى العيد ، اليوم الذى ينبغى أن نبتهج فيه جميعاً .

قال ابن عباس رضى الله عنهما(١) « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقة » .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما .

فهنيئاً لمن أداها ، وهى دين على من وجبت عليه حتى يؤديها .

عباد الله :

ليس العيد لمن تزود بطيب المطعوم ، وهو من زاد التقوى محروم والله تعالى يقول : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » ، وليس العيد لمن لبس الجديد ، وهو عار من لباس التقوى ، والله تعالى يقول : (ولباس التقوى ذلك خير) ، وصدق من قال :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً ولو كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

وليس العيد لحقود وحسود ونمام ومغتاب ، ولا لظالم وغشاش وخائن وكذاب ، ولا لمن يؤذى الناس ويتطاول على سواه ، ولا لمن قطع رحمه وعق أمه وأباه ، فحرم رضا الله . إنما العيد المؤمن التقى إنما العيد للصالح النقى ، إنما العيد لمن عمل لأخراه ، ولم ينس فى هدى نصيبه من دنياه ، فكسب رضا مولاه جل علاه ، فانتبهوا لذلك (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

روى الطبرانى فى الكبير عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنـادوا اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم . فإذا صلوا نادى مناد ألا أن ربكم قد غفر لكم

فارجعوا راشدين إلى رحالكم . فهو يوم الجائزة . ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة » .

وروى أبو داود والنسائى عن أنس بن مالك : رضى الله عنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد أبدلكم بهما خيراً(١) منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » .

---

(١) فأعطى الله هذه الأمة يومى الذكر والشكر بدل يومى اللعب واللهو ، وقد جعل هذان العيدان كل سنة عقب إكمال ركنين مهمين من أركان الإسلام ، وهما الصوم والحج : تنبيها على أن السرور إنما يكون بكمال العبادة .

٤٦ ـ خطبة عيد الاضحى

يذكر الخطيب : (الله أكبر) ـ تسع مرات مفردة ـ ثم يقول :

الله أكبر ما سار الحجاج إلى بيت الله الحرام ، والشوق ملء قلوبهم ، الله أكبر ما لاحت عليهم أنوار الهداية وطاعة ربهم ، الله أكبر ما وصلوا إلى المواقيت(١) في طريقهم ، فتجردوا عن المعتاد المخيط من ثيابهم ، ولبسوا الإزار والرداء وتصوروا حال القبر والمحشر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ما طافوا طواف القدوم بالكعبة المشرفة . الله أكبر ما أدوا المناسك كاملة ووقفوا بعرفة الله أكبر ما وصلوا منى يوم النحر فذبح من معه هدى(٢) ورمى كل جمرة(٣) العقبة وحلق أو قصر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

سبحان من أكرم حجاج بيته بالرضوان والغفران ، سبحان من متعهم بزيارة حبيبه المصطفى أفضل إنسان ، سبحان من أسعدهم

---

(١) مواقيت الحج نوعان : مواقيت زمانية ، وهى الأوقات التى لا يصح شيء من أعمال الحج إلا فيها ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله كما قال مالك أو عشر منه كما قال الأئمة الآخرون ، ومواقيت مكانية ، وهى الأماكن التى يحرم منها من مر بها من يريد الحج . وهى ذو الحليفة لأهل المدينة ومن يمر به ورابغ لأهل مصر والشام ومن يمر عليها ، وجبل قرن المنازل لأهل نجد ومن يمر به ، وجبل يلملم لأهل اليمن ومن يمر به . والمراد هنا المواقيت المكانية .

(٢) الهدى هو ما يهدى إلى الحرم من الإبل والبقر والغنم تقربا الى الله تعالى .

(٣) مكانها على يسار الداخل الى منى .

بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

الحمد لله : أعز من أحبه ، وأجزل له المثوبة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يمنح الأتقياء لطائف الغفران ، ويكسوهم حلل الرضوان وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من حج واعتمر ، وأطاع العلى الأكبر ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ما هلل مسلم وكبر ، وابتلى فصبر ، وأعطى فشكر .

أما بعد فقد قال الله تعالى(١) : « إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر » .

أيها المسلمون :

لما أوحى الله فى المنام إلى سيدنا إبراهيم بذبح ولده(٢) استشاره بما حكاه الله عنه (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) ، ويالها من استشارة ، تنخلع لها القلوب ، لصبى من أبيه ، فى حرمانه من الحياة ، ولكنه صبى حليم ، لا يبغى سوى أن يرضى عنه العلى العظيم ، ولهذا أجاب أباه ، بما يعينه على ما ابتلى به ، قائلا ما حكاه عنه الله : (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما) ، وانقاد الأب والابن لأمر الله ، وفى ذلك الدليل الساطع على أن حبهما لله — فوق حبهما لسواه

---

(١) الكوثر : الخير الكثير ، شانئك : مبغضك ، الأبتر : المقطوع من الخير .
(٢) قيل اسحاق وقيل اسماعيل ، والمختار عندى أن الذبيح هو اسماعيل .

أسقط الأب الابن على الأرض ، لينفذ أمر ربه . فكانت رحمة الله أسرع ونادى جل شأنه أن يا إبراهيم قد حققت الرؤيا بما فعلت . وفدى الابن بمذبوح عظيم . فذبح الخليل الفداء واستبشر . وكان ذلك فى مثل هذا اليوم الأزهر ، وبذلك صارت الأضاحى فى ذلك الوقت مرغوبة . وهى عند أبى حنيفة واجبة . وعند غيره سنة . ويضحى القادر بما أتم سنة من الغنم . وعند الإمام أحمد يجزىء منها ما أتم نصف سنة . ولا يبيع المضحى لحماً ولا جلداً من أضحيته . ولا يعطى الجزار شيئاً منها فى أجرته . ولا يتصرف فيها بسوى الأكل والتصدق والهدية .

عباد الله :

تقربوا إلى الله بضحاياكم وكلوا منها . وأطعموا منها سواكم وهى لاتذبح قبل يوم العيد . واتبعوا لقول(١) نبيكم صلى الله عليه وسلم « إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر من فعل هذا فقد أصاب سنتنا . ومن نحر قبل الصلاة فهو لحم قدمه لأهله ليس من النسك(٢) فى شىء » .

وكبروا الله عقب الصلوات . فى هذا اليوم والأيام الثلاثة بعده . ومن جاء من طريق فليرجع من أخرى لتكثر لكم الحسنات هـ

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) العبادة م

وعظموا شعائر الله وتعاليم دينه ، وانبذوا . الخصام ، وصلوا الأرحام ، وأكرموا المساكين والأيتام (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

روى الطبرانى عن الحسن بن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار » .

(تنبيه) يذكر الخطيب . فى بدء خطبة العيدين الثانية (الله أكبر) — سبع مرات مفردة .

٤٧ — خطبة الجمعة والعيدين الثانية

المعروفة بالنعت

الحمد لله : بارىء الأمم ، ومولى النعم ، الذى لا راد لما حكم ، ولا مانع لما أعطى وقسم ، المتفرد فى وجوده بالقدم ، الحاكم على الخلق بالفناء والعدم ، ثم يعيدهم للحساب والحكم بينهم ، وأشهد أن لا إله إلا الله : يجزى كل امرىء بما قدمت يداه ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من دعا إلى الله ، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ، نبى الرحمة وهادى الأمة ، وعلى آله وصحبه ، هداة الأنام ، ومصابيح الظلام .

أما بعد فيا عباد الله ، سئل عن التقوى الإمام على بن أبى طالب ، رضى الله عنه وأرضاه ، فقال : وهى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، فاتق الله ، وخفه فى السر والعلانية ، واعمل بالقرآن الكريم ، وارض بما قسم لك سبحانه وتعالى ، وإن كان قليلا ، واستعد ليوم فراق الحياة ، بالاجتهاد فى الطاعة وترك العصيان — يحبك الله ، ويمنحك رضاه ، ويسعدك فى دنياه وأخراه .

ونسألك اللهم ياذا الجلال والإكرام ، وياذا الطول والإنعام — أن تعلى بفضلك كلمة الإسلام وتشمل بعنايتك وتوفيقك المسلمين ، وتؤيد جيوش العرب أجمعين .

اللهم عاملنا بإحسانك ، وتولنا برعايتك ، وآمنا فى أوطاننا ولا تفتنا ، وارفع مقتك وغضبك عنا ، واقض حوائجنا ، وفرج كروبنا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) ، (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) .

عباد الله : قال الله تعالى :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

كلمة الختـــام

الحمـد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصـلاة والسلام على خير رسول لخير أمة ، سيدنا محمــد ، وعلى آله وصحبه ، ومحبيه أجمعين .

أما بعد : فقد من الله تعالى بإكمال الجزء الأول من ديوان (الخطب المنبرية العصرية) ، فله الحمد الدائم والشكر الذى لاينقطع ، وأسأله جل وعز كما تفضل بإكماله — أن تفضل بتوجيه النفوس والقلوب إليه ، إنه سميع الدعاء ؟

محمد مصطفى أبو العلا
الشهير بحامد

تم بعون الله الجزء الأول ويليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى .

فهرس

الجزء الأول من الديوان

تم الفهرس

قرش

٦٠ حياة إبراهيم عليه السلام لمحمود شلبي
٢٥ حياة يوسف عليه السلام لمحمود شلبي
٢٠ حياة آدم عليه السلام لمحمود شلبي
٢٠ ديوان خطب ابن نباته
الفتوحات الربانيه بالخطب والمواعظ القرآنيه

